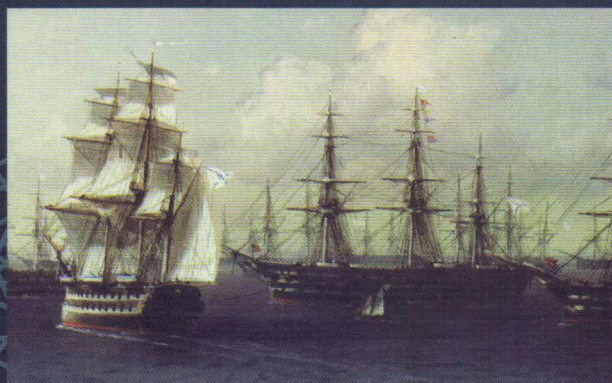


سلطنة في نيويورك

أولى رحلات الأسطول العُماني لأمريكا

عام ١٨٤٠م

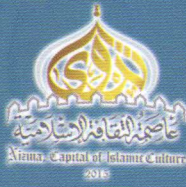


ترجمة

محمد الزين عبد الله

تأليف

هرمان فريدريك ايلتس



هذا الكتاب يعد تدويناً تاريخياً مهماً في تاريخ الملاحة البحرية
العمانية، حيث أسهب مؤلفه في سرد قصة أولى الرحلات
العربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، على متن السفينة
العمانية المجددة (سلطانة) بقيادة أحمد بن نعمان، وذلك في
عام (1840م) وذلك لأهداف ودية وتجارية متبادلة بين
البلدين.

ISBN 978-99969-0-469-1



9 789996 904691

سُلْطَانِي فِي نِيُورِكْ

هَرَمَانْ فَرْدِيكْ اَيْلِسِي



حقوق الطبع محفوظة
لوزارة التراث والثقافة
سلطنة عُمان

الطبعة السادسة

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع المحلي : ٢٠١٥/٣٣

رقم الإيداع الدولي (ISBN) : ٩٧٨-٩٩٩٦٩-٠-٤٦٩-١

سلطنة عُمان - ص. ب: ٦٦٨ مسقط ، الرمز البريدي ١٠٠

هاتف : ٢٤٦٤١٣٢٥ / ٢٤٦٤١٣٠٠ فاكس : ٢٤٦٤١٣٣١

البريد الإلكتروني : info@mhc.gov.om

الموقع الإلكتروني : www.mhc.gov.om

لا يجوز نسخ أو استخدام أو توظيف أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية أو الالكترونية ، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي أو سواء وحفظ المعلومات واسترجاعها - إلا بإذن خطي من الوزارة.

سُلْطَانِي فِي نِيويورك

أولى رحلات الأسطول العماني لإمريكا
عام ١٨٤٠م

تأليف
هرمان فردريك أيلتيس

ترجمة
محمد أمين عبد الله



تقديم

هذا البحث كتبه مستر هيرمان فريدريك ايلتس سفير الولايات المتحدة الأمريكية السابق في جمهورية مصر العربية.

وقد نشر أول مرة في المجلة الربع سنوية التي يصدرها معهد اسكس في مدينة سالم بولاية ماساشوستس في اكتوبر عام ١٩٦٢م ثم أعادت نشره بتصريح من المعهد ومن المؤلف سفارة سلطنة عُمان في واشنطن.

ولهذا البحث أهميته الخاصة التي جعلت السفارة العُمانية في واشنطن تختاره للنشر ، ثم كان لإدراك وزارة التراث والثقافة لأهميته أيضا ما دفعها إلى ترجمته ونشره باللغة العربية كي ينتفع به القارئ العربي ويتعرف من خلاله على حقائق تاريخية هامة عن عُمان وعن دورها في تحقيق العلاقات الوطيدة بين العالم العربي والعالم الجديد.

ولعل قارئ هذا الكتاب سواء في لغته الأصلية - الإنجليزية - أو في ترجمته العربية يلمس جوانب الأهمية لهذا الموضوع في مجريات التاريخ الحديث ذلك أن رحلة السفينة (سلطنة) إلى نيويورك في عام ١٨٤٠م، والمهمة التي كلف بها أحمد بن نُعمان كمبعوث خاص للسيد سعيد إلى الولايات المتحدة الأمريكية تعد أول صلة حقيقية بين العالم العربي وبين الولايات المتحدة الأمريكية بعد استقلالها وتكوينها كدولة كبرى بين دول العالم.

ولئن كانت مراكش قد اتصلت بالولايات المتحدة في نفس الوقت تقريبا إلا أن اتصال عُمان بأمريكا يعد مثلاً للإصرار العربي على الاضطلاع بالدور الفعال في العلاقات الدولية ، ويؤكد أن سلطنة عُمان بصفة خاصة كانت لها رؤية ثاقبة وإدراكات جغرافية وسياسية واسعة الأفق بحيث تشتمل على جميع أرجاء العالم القديم والحديث.



وأخيرا فان الفضل في ذلك يعود لوزارة التراث والثقافة في سلطنة عُمان ولوزيرها الثاقب النظر في هذا الاختيار الموفق لمثل هذا الكتاب مما تقوم الوزارة بنقله الى القارئ العربي من حقائق تكون غائبة عنه وهي فخر لوطنه العربي الكبير.

ولقد اقتضى نشر الترجمة العربية التحقق من نشر هوامش الأصل وهي في جملتها إشارات للمصادر التي استقى منها المؤلف معلوماته.



(١)

السفينة والرحلة

طلع الفجر تدريجيا على مدينة نيويورك في صبيحة الخميس ٣٠ من ابريل عام ١٨٤٠ ، وبعد انفلاق الصبح بقليل ظهرت في الأفق سفينة تهادى فوق سطح الماء مبتعدة قليلا لتفادي اللسان الرملي الذي يدور عند طرفه مصباح مضيء ليحدد مدخل مرفأ نيويورك ، وهناك توقفت السفينة لتأخذ مرشدا ملاحيا تدخل إلى الميناء تحت قيادته .

وأخذت السفينة تبحر ببطء مدفوعة بريح خفيفة من الجنوب الغربي دونما حاجة إلى الأشرعة ، وبقيادة هذا الملاح المرشد ، أخذت تسير في المضيق المتعرج لتدخل منه إلى الخليج حيث ألفت مراسيها في منطقة الحجر الصحي وتوقفت انتظارا لإنهاء الإجراءات الرسمية لدخول المرفأ .

كانت هذه السفينة هي السفينة سلطنة أو السلطنة ذات حمولة تبلغ ٣٠٥ طنا ، وكانت السلطنة قد أبحرت من زنجبار منذ سبعة وثمانين يوما متجهة إلى نيويورك . ويتبين من النظرة الأولى للسفينة أنها كانت سفينة متميزة ، إلا أنها من الناحية الفنية كانت أوروبية الطابع ، ذات سطح يرتفع عند المؤخرة ، وجسمها مصنوع من خشب التيك ، ولم تكن ضخمة فخمة ، فأعمدتها صغيرة قصيرة ورشيقة تستدق عند أطرافها ، وصواربها تزينها وتزيدها جمالا ، ومع ذلك فهذه الصواري كبيرة لا تتناسب مع حجم جسم السفينة .

ولقد لاحظ موظفو الميناء أن قمرات السفينة كانت متواضعة وحسب ماقالوا ، إنها لا تختلف كثيرا عن قمرات أي سفينة أوروبية عادية إن لم تكن أسوأ منها ، وكانت القمرات مطلية من الداخل باللون الأبيض أو العاجي . أما سطح السفينة فكان محاطاً بجوانب واقية ترتفع سبعة أقدام ، وبها أماكن



لأربعة عشر مدفعا مما يدل على أنها كانت تستخدم أحيانا كسفينة حربية ، ولما كان وجودها في نيويورك مهمة سلمية من أجل الصداقة فلم تكن تحمل سوى أربعة مدافع فقط .

وحينما دخلت السلطنة الميناء كان غاطسها منخفضا تحت الماء لما تحمله من بضائع ثقيلة في بطنها ، ولذا كانت المظلة الخشبية المقامة على سطحها بادية للعيان ، ويرى من تحتها فرسان يبدو عليهم الإنهاك من طول الرحلة ، وكانت علامات الإنهاك من الرحلة الطويلة تبدو في كل مكان من السفينة ، فالأشرعة ممزقة حتى في أجزائها الرئيسية وكانت قد ركبت حديثا قبيل مغادرة السفينة ، فلم يزد عمرها عن خمسة شهور ، ولعل تمزقها يرجع أيضا إلى الإهمال فيها وطبيها وهي مبللة بالماء مما أوصلها إلى تلك الحالة التي يتعذر معها استعمالها في البحر ثانية .

وكان على السفينة ستة وخمسون من الرجال الأشداء ، وكانت لحاهم مطلقة غير مشذبة من أثر الشهور الطويلة في رحلة بحرية متواضعة ليس فيها أي وسائل للراحة أو المتعة أو الترفيه .

وطيلة الرحلة كان من الطبيعي ألا يأكل هؤلاء البحارة أكثر من وجبة واحدة في اليوم ، وكانت الوجبة تتكون أساسا من أرز بالكاري تكوم كمية كبيرة منه في إناء كبير تمتد إليه جميع الأصابع في وقت واحد ، ولم يكن اللحم يقدم إلا قليلا وفي أول الرحلة .

ويقال أن الطعام كان يطبخ بماء مخزون آسن ملئ بالطحالب والحشرات المتحللة فيه ، بل والفئران الغارقة ، ولعل هذه الكائنات الحية قد نفذت إلى تلك البراميل لإهمال البحارة في إغلاقها ، ولعلها كانت تلجأ إلى هذه البراميل لأنها لا تجد ما يقيم أودها سوى الالتجاء إلى الماء العذب .



أما طعام الضباط على السفينة فكان أكثر سخاء يشتمل على طبقين كبيرين ، وإذا أتى وقت الطعام مدت سجادة كبيرة على ظهر المركب ووضع في وسطها الطعام وفي الأيام الأولى من الرحلة كان أحدهما يملأ إناء بلحم الضأن المطبوخ ، ثم أصبح يملأ بالأرز المخلوط بالكاري بعد أن نفذ اللحم، أما الطبق الثاني فكان يملأ بالتمر والمأنجو الملحة والتوابل وغيرها، ويتربع ضباط السفينة حول الأطباق يلتمسون منها الطعام الشهى وكانوا لا يمدون إلى هذه الأطباق إلا أيديهم اليمنى بعد غسلها بالماء.

وكان يعقب طعام الضباط عادة القهوة الساخنة من بن مخا الأصلي الطازج الذي تفوح نكهته قوية ، وتوزع عليهم في فناجين صغيرة وتدور عليهم الزجيلة تتقل من يد إلى يد لتدخين الطباقي ولما طال زمن الرحلة تعرضت المواد المخزونة للنقص والنفاد وقلت معها كميات الأرز التي كانت تملأ الصحن لكل من البحارة والضباط على حد سواء.

وفيما عدا اثنين من الفرنسيين اللذين كانا ضمن طاقم السفينة كان الملاحون جميعا إما من عسكر البحارة المسلمين الذين جلبوا من سواحل كوناكان ومالابار في غرب الهند ، وأغلب هؤلاء من فقراء الهنود الذين يبحثون عن الأجور بأي وسيلة فيما عدا القليل منهم ، وأخذ معظمهم من بمباي حيث أدخلت السفينة للتصليح والإعداد لتلك الرحلة ، وهي رحلتها الأولى إلى المحيط الأطلسي ، وقد أتى بهم أحد متعهدي السفن الهنود منتزعا إياهم من سفن أخرى وكان أغلبهم من الرجال الأشداء الغلاظ.

وكان سواد البشرة يغلب على نسبة كبيرة من بحارة السفينة والمساعدين، وتبدو على تقاطيعهم أنهم من أصل أفريقي ، وكثيرون منهم أيضا كانوا من رقيق الضباط وقد أتوا بهم معهم على ظهر السفينة ليحصلوا لهم على أجر



عن عملهم ، وكان هؤلاء المساعدون يمثلون طبقة ثالثة على السفينة فكانت تلقى اهتماما أقل تبعا لحجم العمل الضئيل الذي يقومون به ، وكان طعامهم من بقايا الصحون ، وكانت ملابسهم مصنوعة من قماش القطن الخشن ، وكان كل منهم يحمل معه في الرحلة رداءين إلا أنهم قليلا ما كانوا يغيرون الرداء إلا إذا وصل إلى درجة بالغة من الإتساخ.

ولقد لازم السفينة وبحارتها رائحة نفاذة متميزة لم تستطع ريح البحر المالح أن تزيلها ، وكانت هذه الرائحة تمثل مزيجا من رائحة القرنفل والصمغ والبن الصادرة من مخازن السفينة ، ورائحة القار الأسود الصادرة من المطبخ في أسفل السفينة فضلا عن روائح هون المطبخ ودورات المياه البدائية التي كانت تختلط جميعا برائحة زيت جوز الهند النفاذة ، وكان البحارة يدهنون أجسامهم به كل يوم سبت اعتقادا منهم أنه يزيل داء الروماتزم. وكان البق والبراغيث تسرح في جميع أنحاء السفينة ، ومن عليها ، حتى أن بعض البحارة كانوا يقضون بعضا من أوقات فراغهم يتبادلون تنظيف بعضهم منها ، ومثلهم في ذلك مثل سائر البحارة وراكبي السفن في ذلك العصر.

وفي بعض الأحيان كانت أوقات الفراغ من العمل طويلة للغاية وكان أفراد طاقم السفينة يحاولون القضاء على ما يصيبهم من ملل بالاستغراق في نوم عميق لساعات طويلة ، أو القيام بأداء صلوات نوافل وقراءة الأدعية والتسبيح وذكر أسماء الله الحسنى تكرارا على مسبحاتهم فإذا خيم الليل اختلف أسلوب الحياة على ظهر السفينة فالأفريقيون يتسلون بالرقص العنيف السريع الخطوات على نغمات الطبول القوية التي اعتادوها في بلادهم أو كان الجميع يستمع منصتا إلى أحد العرب أو الهنود يشدو بنغم من الأنغام الوتيرة أو ينشد من غناء بلاده ما يردده الجميع معه.



وكان من أهم ما يشغل وقت الفراغ أيضا هو تبادل رواية القصص ، فيلقي البعض على أسماع الآخرين ، من بطولاتهم الشخصية وذكرياتهم في البحار وفي مواجهة العواصف ما قد يخرج من مجرد الرواية إلى الخيال القصصي الذي يعيد إلى الذاكرة قصص السندباد وأساطير الشرق التي طال ترديدها بصور مختلفة تثير انتباه السامعين وتمتعهم ..

وقاد السفينة إلى نيويورك بحار إنجليزي يدعى وليام سليمان ، كان يعمل من قبل في البحرية الملكية وسبق له أن قاد الفرقاطة البحرية العُمانية المسماة البرنس ريجنت ، ومرت السفينة بمحطتها الأولى والوحيدة في سانت هيلانة حيث اشترى سليمان كميات كبيرة من الخمر لاستهلاكه الشخصي أثناء رحلة عبور الأطلسي ، وكان سليمان ملاحا ماهرا إلا أنه كان من مدمني الخمر ، وقد حكى أنه أخذ يشرب مما اشتراه من سانت هيلانة ، حتى بلغ أعلى درجات السكر في وقت كانت السفينة فيه تأخذ طريقها إلى أعالي البحار في أخطر مرحلة من مراحل الرحلة .

ظل سليمان ثملا مستلقيا في فراشه لا يقوى على الحركة أو التفكير لمدة ثمانية أيام بدأت في وقت كانت السفينة فيه قد قطعت مرحلة واحدة مما دعا إلى إلقاء ما بقي من الخمر في البحر ، ولولا أن أحد ضباط السفينة تذكر حديثا ما جرى أمامه أثناء رسو السفينة في سانت هيلانة لحدثت كارثة ولضلت السفينة طريقها الصحيح ، فعند رسو السفينة في تلك الميناء استمع ذلك الضابط العربي إلى حديث بين قبطانين أمريكيين يذكران أن خير طريق للوصول إلى نيويورك هو الاتجاه أولا إلى الشمال الغربي مباشرة .

قام هذا الضابط بتوجيه السفينة إلى ذلك الاتجاه اجتهدا بدون خبرة سابقة معتمدا على مشيئة الله وعونه ، وقد نجح في ذلك بفضل الله ، فلم تعترضهم في المرحلة الأولى من الرحلة أي مياه ضحلة أو جزر صخرية ،

وكانت الريح متوسطة السرعة تهب في الاتجاه المطلوب ، وظلت السفينة تحت قيادة هذا الضابط حتى أفاق سليمان من خمره .

والغريب في الأمر أن سليمان هذا لم يكن قبطاناً صارماً بقدر مهارته ، فقد كان إذا أفاق من الخمر يفقد أعصابه بسهولة ، وكان إذا صاح في البحارة أحياناً لا يقابل إلا بالتجهم والغطرسة والإهمال من جانبهم ، ولعل الحالة السيئة التي وصلت إليها السفينة ترجع إلى ذلك .

وكان على السفينة ضابط يسمى محمد عبدالله هو الضابط الأول وهو عربي أسمر ذوقامة قصيرة ، كثيف شعر الذقن ، تقاطيعه قوقازية دقيقة ، اتصف بالكسل والتراخي ، ولقد كان متوعكا في أغلب الأحيان مما جعله قليل الفائدة ، ولم يكن يتدخل كثيراً في تسير أمور السفينة ، وكان الضابط الثاني محمد جمعة شاباً شديد السمرة ضخم الأنف على وجهه علامات قبلية مما ينم عن أصله العربي الأفريقي المختلط ، ولكنه يتميز بوجه باسم محبوب لدى الجميع ولعل مظهره العام كان غير مقبول ، ولكن كان يخفي من وراء ذلك ذكاءً طبيعياً ورغبة ملحّة في أن يوسع أفق معارفه .

وكان يكمل مجموعة الضباط العرب على السفينة ضابط عربي صغير لم يعرف اسمه في ذلك الوقت .

ومن بين من كان على ظهر السفينة أوروبي آخر كان يدعى جون البرتغالي ، كان سليمان قد اصطحبه معه ليكون طاهياً وخادماً على السفينة ولقد اتصف جون هذا بالدناءة والخسة والجشع فضلاً عن القذارة البادية في ملابسه وعاداته وكان لصاً خفيف اليد .

ولتكتمل الصورة التي توضح مظاهر العجب في هذه الرحلة أن السفينة كانت تحمل ضمن ركابها سيدتين إنجليزيتين إحداهما مسز روبرت نورثورزي زوجة أحد التجار الإنجليز في مسقط ووصفتها مسز شارلوت



طومسون وكانت قد غادرتا مسقط على ظهر السلطنة في طريق عودتهما إلى وطنهما في إنجلترا ، وعند وصول السفينة إلى نيويورك وقفتا كغيرهما والإعياء والتعب باد عليهما ولكن نظرتهما إلى الميناء كانت تنم عن علامات البشر والسعادة بالوصول والشغف الشديد للهبوط من السفينة إلى نيويورك حيث كانتا ستقيمان أسبوعين وتغادران إلى لندن على سفينة بريطانية ، ولعل السفر هذه المرة سيكون في ظروف أفضل مما لقيتهما على السلطنة .

وفي وسط هذه المجموعة المتنوعة من المسافرين على ظهر السفينة سلطنة كانت هناك شخصية كبيرة ، رجل عربي بدين قصير ، ذو لحية طويلة ، يلقي الاحترام والتبجيل من جميع من في السفينة ، أحمد بن نَعْمَان ، وكانت بشرته قمحية وعيناه قوية النظرات ، ولقد كان البعض يرون فيه رجلا غنياً صارماً بينما ينظر إليه الآخرون على انه رجل طيب رقيق القلب مرفه الحس .

وقف أحمد بينهم شامخاً مهاباً ، وقد علت رأسه عمامة زاهية الألوان ، ولف وسطه بحزام من قماش الكشمير من نفس قماش العمامة ، وفوق سرواله وقميصه الأبيض الناصع لبس قفطاناً جميلاً أسود اللون ، مطرزاً بخيوط ذهبية عند الأكتاف وعلى الصدر وكان شخصه بصفة عامة محاطاً بمظاهر الاحترام والمهابة .

ولشدة ما أدهش رجال الميناء عندما تقدم إليهم هذا الرجل العربي يحدثهم بالإنجليزية واضحة ، ويعلن لهم أنه هو رئيس هذه السفينة لا سليمان ، وأن اسمه هو الذي يجب أن يظهر في سجلات الميناء ، ففعلوا ما طلب وشطب اسم سليمان من السجلات وأحل محله اسم أحمد بن نَعْمَان ووظيفته الممثل الشخصي لسعيد بن سلطان حاكم مسقط وزنجبار وتوابعهما ، وقد جاء في رحلة طويلة دار فيها حول نصف العالم تقريباً مثلاً



لحاكم مسقط وُعْمان وزنجبار في بعثة تجارية ، ومهمة للتعبير عن الرغبة في الصداقة والسلام مع الولايات المتحدة.

رست سلطنة في الميناء ، وكانت ترفرف عليها الراية القرمزية الزاهية الخالية من أي زخرف ، وهي الراية الأميرية التي ترتفع على قطع الأسطول العُمانِي ، وما أن أُلقت السلطنة مراسيها حتى اقتربت منها سفينة حربية أمريكية كبيرة ذات ٧٤ مدفعاً من أسطول نيوكارولينا كانت راسية في حوض بروكلين الخاص بالبحرية الأمريكية في ميناء نيويورك ، وما إن اقتربت ووقفت بجانب السلطنة حتى تقدم منها ملازم بحري حاد النظرات واتجه إلى حيث وقف أحمد ليعبر بالتحية وباسم رئيسه العميد البحري جيمس رانشو مدير حوض الميناء عن الترحيب بالسفينة العربية ، وقبلت التحية والترحيب بتقدير من رجال سلطنة.

أكملت السلطنة الإجراءات الرسمية للرسو في الميناء خلال يومين من وصولها أي الثاني من مايو سنة ١٨٤٠م واقتيدت إلى رصيف الميناء إلى موقع عند نهاية طريق ركتور في النهر الشمالي وكانت السلطنة أول سفينة عربية تحمل أول بعثة رسمية تصل الى شواطئ أمريكا للزيارة والتجارة.





(٢)

العلاقات العُمانية الأمريكية

أدت رحلة أحمد بن نُعمان هذه إلى نمو التجارة التي كانت وليدة بين أمريكا وبلاد السيد سعيد ، وكانت هذه التجارة قد بدأت من قبل منذ خمسة عشر عاماً على يد أحد التجار المستثمرين من بلدة سالم بولاية ماساشوستس ، غير أن أمريكياً آخر هو آدموند روبرتسون من أهالي بورتسمات في ولاية نيو هامبشاير قد نجح في إرسائها على أسس قوية مستندة إلى إتفاقية موقعة . ولكي لا نغفل الحقيقة لا بد لنا أن نذكر أن السفن الأمريكية كانت تصل إلى الموانئ الجنوبية للجزيرة العربية منذ زمن مبكر في أوائل القرن التاسع عشر ، وكان وصولها إلى الشواطئ العربية يتم وهي في طريقها إلى الهند وجزر الهند الشرقية أو في طريق عودتها منها ، ولكن رحلات السفن الأمريكية قد توقفت تماماً منذ عام ١٨١٢م بقيام الحرب وإعلان الرئيس الأمريكي جيفرسون مقاطعة السفن الأمريكية للمحيط الهندي .

ولقد بدأت السفن الأمريكية تظهر ثانية في المحيط الهندي في العشرينات المبكرة من القرن التاسع عشر ، وبدأت تظهر على شواطئ شرق أفريقيا أولاً بالرسو في موانئ موزمبيق ثم مدغشقر ، وأخذت بعد ذلك تتجه تدريجياً نحو الشمال حيث وصلت أول سفينة أمريكية إلى زنجبار في يولييه سنة ١٨٢٥م ، وكانت هذه السفينة الأولى التي وصلت بعد المقاطعة ، هي السفينة المسماة لوريل بقيادة العميد بحري الكابتن بريانت ، وكانت قادمة من ميناء سالم في ماساشوستس ، ثم أعقبها في عام ١٨٢٦م أربع سفن أمريكية أخرى ، وتضاعف عدد السفن الأمريكية التي ترسو في زنجبار في العام التالي ١٨٢٧م .



ويتفق الظهور المفاجئ للاهتمام الأمريكي بزنجانر وشرق أفريقيا بالصدفة مع زيادة اهتمام السيد سعيد بممتلكاته في ساحل أفريقيا وقد عرف السيد سعيد لدى المعاصرين من الأوروبيين والأمريكيين بلقب سلطان مسقط، وأطلق عليه البعض خطأ لقب إمام مسقط، أما هو فكان يحمل اسم ولقب (سعيد حامي الضعفاء والفقراء في مسقط وتوابعها).

وكان السلطان سعيد المشهور قد ورث عرش البوسعيد منذ عام ١٨٠٤م، وقد استمر حكم السيد سعيد أكثر من نصف قرن من الزمان حتى عام ١٨٥٦م مما جعله أشهر أمير عربي حكم المنطقة.

امتدت أملاك السيد سعيد الشاسعة من رأس الحد إلى مقاطعة ظفار في جنوب شرق الجزيرة العربية، ومن رأس جرادفوي إلى رأس دلجادو على طول ساحل شرق أفريقيا، حيث امتدت أملاكه إلى أطراف النفوذ البرتغالي، غير أن النفوذ الملكي البوسعدي لم يكن كاملاً في كل الأنحاء، فقد كان هناك تمرد وكانت هناك ثورات هنا وهناك تطبع الحياة السياسية في عهد السيد سعيد.

وبالإضافة إلى تلك المشكلات الداخلية المتمثلة في عمليات التمرد المحلية، وجد السيد سعيد نفسه متورطاً في الصراع الفرنسي البريطاني للسيطرة على المحيط الهندي، وهو الصراع الذي بدأ مع بداية الاضمحلال والضعف الذي أصاب الحكم البرتغالي منذ أوائل القرن الثامن عشر، فقد اقتضت الحكمة أن يتعاون السيد سعيد مع بريطانيا التي نشطت لتحقيق هدفها المزدوج في حماية خطها البحري إلى الهند من جهة ومنع تجارة الرقيق من جهة أخرى.

ونتيجة لهذا النشاط أصبح النفوذ البريطاني محسوساً في كل الأراضي المطلة على المحيط الهندي وأدى ذلك إلى أن السيد سعيد وقع مع بريطانيا

معاهدة لمنع تجارة الرقيق عام ١٨٢٢م عرفت باسم معاهدة مورسباي ، جاءت تعريزا للمعاهدة سابقة كان قد وقعها سلفه حول نفس الأمر .

وبمجرد أن تولى السيد سعيد العرش بدأ يعمل على تثبيت سلطته وبسط نفوذه في جميع أنحاء المملكة الشاسعة ، وكان همه الأكبر في العشرين سنة الأولى من حكمه يتركز في ثلاثة أمور ، أولها إصلاح أمور عُمان الأصلية ، ثانيها صد الغزوات الخارجية ومواجهتهم في داخل الجزيرة العربية ، ثالثهما محاولة إثبات كيانه في وسط الحكام المتعديدين في الخليج . وقد نجح في ذلك ولكن كان نجاحه نجاحاً وقتياً، إذ سرعان ما مرت حمى الاضطرابات في أنحاء كثيرة من عُمان ، واستمر يقاسي منها حتى آخر أيام، ولئن اعتبر البعض جهوده مظهرًا من مظاهر الفشل إلا أنها أخذت على أنها محاولات للقضاء على القرصنة في الخليج مما أكسبه بعض العطف من جانب بريطانيا وساعده ذلك كثيراً على تحقيق أهدافه في جهات أخرى من البلاد التي لم تمتد إليها الثورات .

ومنذ العشرينات الأولى من القرن التاسع عشر ، بدأ السيد سعيد يوجه اهتمامه نحو شرق أفريقيا حيث كانت الاضطرابات السياسية قد بدأت منذ وقت طويل وتبلورت دون أن تلقى رد فعل مباشر من السيد سعيد ، ولعل ذلك التحول السريع الذي وجه الاهتمام الجغرافي للسيد سعيد إلى شرق أفريقيا هو تصرف سيء من جانب أحد الضباط البريطانيين هو الكابتن وليم أوين الذي أعلن عام ١٨٢٤م الحماية المؤقتة على ممباسة وهدد باتخاذ نفس الموقف بالنسبة لجزيرة ممبا ، بحجة استجابته لطلبات شيوخ المزاريع ولجؤهم إليه للحماية ، وقد كان شيوخ المزاريع عشيرة سائدة في ممباسة وبعض الجهات الأخرى من المملكة ، وقد أعلنوا إنكارهم لأحقية السيد سعيد في تولي عرش عُمان .

ولما لم يكن لدى أوين أي تفويض رسمي فقد سارعت الحكومة البريطانية ، حينما بدأت المواجهة مع السيد سعيد ، بسحب الإعلان ، أما بالنسبة للسيد سعيد فقد كانت حادثة أوين هذه درساً له ، على أن هناك فراغاً في شرق أفريقيه سوف تملأه إحدى القوى الأوروبية إذا ما تركه هو . كانت زنجبار ومباشرة تعتبران مفتاحاً لشرق أفريقيه ، إذ تتميزان بموقعهما الدفاعي الآمن ، وكان يقوم على حكم زنجبار مفوض من أقارب السيد سعيد ، أما في مباشرة فقد بقى المزاريع على عنادهم ، وفشلت كل المفاوضات في تغيير وجهة نظرهم سلمياً ، وبناء على ذلك قام السيد سعيد بالتوجه على رأس أسطول كبير يحمل جيشاً ضخماً من مسقط إلى شرق أفريقيه في النصف الثاني من عام ١٨٢٧ م .

وباستخدام المدفعية والخذعة الحربية عند الوصول إلى مباشرة استطاع إدخال حامية عسكرية إلى قلعة (فورت جيسوس) الحصينة التي تسيطر على المدينة . وبدأ من أول وهلة أن التمرد أحمد وأن المهمة قد انتهت بنجاح ، ولذا اتجه السيد سعيد بأسطوله إلى زنجبار المجاورة ووصلها في أواخر يناير ١٨٢٨ م في أول زيارة له يقوم بها للجزيرة التي أصبحت فيما بعد عاصمته الثانية والمقر الرئيسي لإقامته .

وكان أول ما واجهه السيد سعيد عند وصوله إلى زنجبار لقاءه مع روبرتس الذي كان في حالة غضب شديد نتيجة لمعاملة السفينة الأمريكية ماري آن ، وهي إحدى سفن نيوبدفورد الأمريكية ، وقد وصلت إلى زنجبار بقيادة الكابتن ستيفانسن وعليها روبرتسون في محاولة لاقتناص فرصة تجارية جديدة بعد أن ضاعت عليها الفرصة في رحلتها إلى أمريكا الجنوبية ، وقد لقيت هذه السفينة بعض العقبات التي أقيمت في وجهها ، إذ أرغمت على دفع سبعة ونصف في المائة ضريبة مقابل الخمسة في المائة التي كان يدفعها



البريطانيون ، كما قام أحد كبار الموظفين الحكوميين بتفتيش بضائع السفينة بما وصفه أحد كبار الموظفين الحكوميين بأن فيه شيئاً من التعنت ، هذا فضلاً عن أن ما اضطرت إلى دفعه من عمولات ورسوم عالية لرسو السفينة أكثر بكثير مما كان قد اتفق عليه مسبقاً مما زاد الغضب والسخط ، ولم تكن هذه هي أول سفينة أمريكية تتعرض للمعاملة السيئة وتلقى الصعاب في زنجبار . وما كاد السيد سعيد يستقر في قصر إمتوني الذي اتخذه مقر له حتى وصله خطاب من روبرتس في ٢٧ يناير سنة ١٨٢٨م يتضمن احتجاجاً على المعاملة السيئة التي لاقاها هو وأهل بلده في الجزيرة ، وجاء في هذا الخطاب - الذي كتبه روبرتس - مقدماً نفسه فيه إلى السيد سعيد على أنه القنصل الأمريكي - أن السفن الأمريكية التي قاست من كل تلك الصعاب غير مستعدة للعودة مرة أخرى إلى هنا ، وعرض في الخطاب للعلاقات بين زنجبار وأمريكا موضعاً أن هذه العلاقات هي في صالح سلطان زنجبار وعمان لأن أمريكا بخلاف إنجلترا وفرنسا - ليس لها أي خطط سياسية في بلاده - وأن اهتمام أمريكا يقتصر فقط على تنمية التجارة المشروعة مع زنجبار .

ولقد أعرب روبرتس في خطابه عن استعداده أن يحمل رسائل السيد سعيد إلى الولايات المتحدة على أن تتضمن هذه الرسائل الشروط التي على أساسها يمكن للتجارة الأمريكية أن تلقى المعاملة في الموانئ الخاضعة لحكم السيد سعيد ، واقترح روبرتس مشروع معاهدة تجارية للتفاوض على أساسه ، وأضاف في خطابه وعداً بأنه إذا تم الاتفاق والموافقة على هذه المعاهدة فإن سفينة حرب أمريكية تأتي في العام التالي حاملة المعاهدة بعد أن تكون الولايات المتحدة قد صدقت عليها .

ولئن كان علم السيد سعيد بالولايات المتحدة محدوداً للغاية وصورتها لديه غير واضحة إلا أن ما تقدم به روبرتس كان مثيراً للاهتمام لما قد يكون له من أثر في زيادة إيرادات الخزانة التي كانت تعاني من ضغط المصروفات الشديدة عليها، فلقد كان السيد سعيد يحتاج إلى أموال طائلة للإنفاق منها على أسطوله الضخم، ولدفع رواتب الجند، وتسديد نفقات تسليحهم، هذا فضلاً عن الأموال التي يحتاجها لتقديم الهدايا والمنح لأتباعه من الحكام المحليين، وما يحتاجه لمواجهة الصرف على الضيوف والزوار وغيرها من مستلزمات مظاهر الملك.

وكانت إيرادات الخزانة في ذلك العهد تقتصر على الضرائب الزراعية التي قلما تعدت ٢٥٠ ألف كراون (ما يعادل نحو ٢٤٩ ألف دولار) في العام، وكان السيد سعيد قد أصبح بالفعل أكثر المستثمرين في نطاق البلاد التي تتبعه، وكان دائماً يبحث عن أسواق جديدة لتجارته ولتدعيم التجارة انفتح باب جديد هو الحاجة إلى مستلزمات الدفاع والحرب وبخاصة من المدافع والقنابل والبارود وغيرها من الذخائر التي كان يود السيد سعيد بكل الوسائل أن يحصل عليها ولكن عن طريق غير طريق إنجلترا وبدون علمها، وطبقاً لما عبر عنه السيد سعيد نفسه كانت آماله لا تقتصر على إخضاع سفن المتمردين فحسب، بل كان يهدف إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير وهو طرد البرتغاليين من موزمبيق.

وبناء على الأوامر دفع روبرتس الرسوم فوراً، ثم وافق السيد سعيد على مقابله على ملأ من الناس بعد ذلك بأيام، وكان إصرار السيد سعيد على تسديد الرسوم أولاً لمحة ذكاء من حاكم يريد أن يبدي عدم الاكتراث بتجارة الولايات المتحدة مع زنجبار ومسقط، وعلى ذلك فلما وجه السيد سعيد إلى روبرتس سؤالاً عن الأسباب التي جعلت الولايات المتحدة لا تدخل في



معاهدة تجارية معه مثلما فعلت حكومة الإنجليز، لقد أصبح اقتراح روبرتس الذي سبق تقديمه، هو اقتراح من جانب السيد سعيد وتكليف منه لروبرتس أن يبلغ حكومة الولايات المتحدة عن استعدادة لعقد إتفاقية تجارية، وأنه متحمس لذلك.

وحينما عاد روبرتس إلى الولايات المتحدة في السنة التالية طلب من صهره عضو مجلس الشيوخ الأمريكي عن ولاية نيوهامبشاير السناتور ليفي ووديري أن يساعده في تنفيذ خطته، وأخذ ووديري على عاتقه أمر إثارة اهتمام زملائه التجار لذلك، ولكن لم تنجح هذه المحاولات، لأن مسقط وزنجبار لم تكونا معروفتين لمعظم الأمريكيين في ذلك العصر، وكانت الردود التي تلقاها على هذه المحاولات أنه لا توجد في الكتب معلومات واضحة عن مسقط وزنجبار حتى يمكن الرجوع إليها، وقد كان في إمكان رجال مدينة سالم أن يقدموا مثل هذه المعلومات ولكنهم آثروا الصمت حفظاً للمعلومات لأنفسهم حتى لا يشجعوا المنافسين لهم للإتجار في تلك المناطق. وعلى كل حال فإن فرص التجارة مع جزر الهند الشرقية والشرق الأقصى وكذلك اليابان كانت مشجعة للأمريكيين الذين كانوا ينتظرون لها مستقبلاً زاهراً، غير أنه لم يكن هناك أي تفكير في ذلك من جانب الحكومة ذاتها حتى أواخر عام ١٨٣١م حينما أصبح ووديري سكرتيراً للبحرية الأمريكية وتبلورت لديه فكرة زيارة مجموعة صغيرة من سفن الأسطول الأمريكي للمحيط الهندي وانتهت الفكرة إلى قرار بإرسال بعثة إلى سيام والهند الصينية واليابان إذا أمكن، كما أشير إلى القوى العربية في الجزيرة العربية والبحر الأحمر ضمن المناطق التي سيزورها الأسطول، ونص على أن الهدف من إرسال البعثة هو العمل على عقد معاهدات أو إتفاقات تجارية مع تلك الدول.



استخدم ووديري نفوذه لتكليف صهره روبرتس بالمهمة السرية لهذه البعثة ، وتأكد بنفسه من إرسال خطابات اعتماده كمندوب لدى السيد سعيد ، وتضمنت هذه الخطابات رسالة من الرئيس الأمريكي جاكسون معبراً فيها عن رغبة الولايات المتحدة في عقد معاهدة مع زنجبار .

وأبحر روبرتس من الولايات المتحدة في مارس سنة ١٨٣٢م على ظهر السفينة بيكوك التي كان يقودها الكابتن ديفيد جيزنجر إلى المحيط الهندي ، ولكي لا تتدخل القوى المعادية وضع اسم روبرتس في سجلات السفينة على أنه الكاتب الخاص لقائد السفينة .

وصلت السفينة بيكوك إلى مسقط في سبتمبر سنة ١٨٣٣م بعد أن أتمت المهام الموكولة إليها في المحيط الهندي ، وكان السيد سعيد في ممباسة في ذلك الوقت ، وكاد يتم الوصول إلى اتفاق على معاهدة الصداقة والتجارة التي عدلتها وزارة الدولة الأمريكية وزودت بها روبرتس قبل سفره بقليل .

تضمنت المعاهدة ضمن نصوصها العديدة نصاً على أن تكون تعريفه الاستيراد الموحدة التي تسدها التجارة الأمريكية في المواني التابعة للسيد سعيد خمسة في المائة فقط ، كما نصت المعاهدة على بعض الامتيازات الأخرى للتجار الأمريكيين ، وقام سعيد بن خلفان الذي كان قبطاناً في أسطول السيد سعيد بدور المترجم ، وقدم على الفور النص العربي للوثيقة وفقاً لما طلب إليه .

وبعد مضي بعض الوقت اكتشف أن هناك اختلافاً بين النص العربي والنص الإنجليزي في كثير من أجزاء المعاهدة ، ولم تعرف حقيقة الأمر ، إن كان خطأ في الترجمة أم أمراً متعمداً ، ولقد كان هذا الخطأ متعلقاً بسوء فهم بعض ما يتعلق بمستقبل العلاقات في السنوات المقبلة .



ورغم وجود هذا الخطأ فقد سارت الأمور سيراً حسناً ، فعندما غادر روبرتس مسقط حمل معه خطاباً من السيد سعيد موجهاً إلى [فخامة رئيس الولايات المتحدة القوى المعظم الذي ملأ صيته العالم كله] ، واشتمل الخطاب على تعبير السيد سعيد عن سروره لنجاح نتائج المفاوضات التي انتهت إلى المعاهدة وتعهد بالتمسك بتنفيذ المعاهدة بدقة وإخلاص . ورفض روبرتس بأدب شديد حمل الهدايا التي أراد السيد سعيد إرسالها معه إلى الرئيس الأمريكي موضحاً أنه موظف تنفيذي ممنوع عليه تلقي أي نوع من الهدايا . وبعد أن صدق على المعاهدة في الولايات المتحدة في ٣٠ يونيو سنة ١٨٣٤م أرسل روبرتس مرة أخرى كمبعوث خاص على ظهر السفينة بيكوك تحت قيادة القبطان آدموند كندي لتبادل وثائق التصديق بعد رحلة شاقة جنحت فيها السفينة بيكوك عند جزيرة مصيرة ، وصلت السفينة إلى مسقط ، وتم تبادل وثائق التصديق على المعاهدة في ٣٠ سبتمبر عام ١٨٣٥م ، وتفضل السيد سعيد فطلب من روبرتس تحديد التاريخ الذي تصبح فيه المعاهدة نافذة المفعول ، وبعد تردد من جانب روبرتس اقترح ٣٠ يونيو ١٨٣٤م تاريخاً لنفاذ المعاهدة ، وهو تاريخ التصديق عليها من الولايات المتحدة ، فتفضل السيد سعيد بالموافقة على ذلك وبعدها أصبحت المعاهدة نافذة المفعول ، وأرسل روبرتس الخطابات إلى رؤساء الهيئات الأمريكية التي تمتلك السفن التجارية ، وإلى جميع السفن الأمريكية التي تصل إلى زنجبار في رحلاتها ، بما جاء في هذه المعاهدة للأخذ به ، وأرسلت خطابات مماثلة كذلك إلى جميع الرسميين المختصين في حكومة السيد سعيد .

ومع أن المعاهدة أصبحت نافذة المفعول منذ تاريخ سابق ، إلا أن السفن التي كانت قد سددت رسوماً أكبر من النسبة المقررة - فيما بين تاريخ النفاذ وتاريخ التصديق - وعددها ستة عشر سفينة لم تقدم بأي طلب لرد فروق

هذه الرسوم ، بذلك بدأ التنفيذ الفعلي للمعاهدة دون أي مشاكل وأصبح لأدموند روبرتس فضل إقامة التجارة الأمريكية مع مسقط وزنجبار على أسس ثابتة أفادت منها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والأمة العربية في عُمان وتوابعها ، ولسوء الحظ لم تمهل المنية روبرتس حتى يرى نتائج عمله فقد توفى في ١٢ يونيه عام ١٨٣٦ في موناكو نتيجة إصابته بدوسنتاريا مزمنة أصابته في سيام واستمرت معه أثناء تبادل وثائق التصديق في مسقط. ولقد أصبحت التجارة الأمريكية مع زنجبار تبشر بالفعل بمستقبل زاهر ، فعلى سبيل المثال بلغ جملة عدد السفن الأجنبية التي رست في ميناء زنجبار في الفترة من سبتمبر ١٨٣٢م إلى مايو ١٨٣٤م إحدى وأربعين سفينة ، كان من بينها ٣٢ سفينة أمريكية بلغت جملة حمولتها ٥٤٩٧ طناً ، ومن بين هذه السفن الأمريكية عشرين سفينة أتت من ميناء سالم في ماساشوستس ، وثلاثة من نيويورك وبوسطن والباقي من موان أمريكية أخرى لم يسجل إسمها ، وكان ذلك في مقابل سبعة سفن بريطانية وسفينة واحدة من كل من فرنسا وأسبانيا أما عن ميناء مسقط فلم يكن له من التجارة الأمريكية مثل ما كان لزنجبار ، فقد دخلته سفينة أمريكية واحدة في مدة السنوات السبع التي بدأت من سنة ١٨٣٥م.

وطبقا لنصوص المعاهدة الأمريكية عينت أمريكا قنصلاً تجارياً لزنجبار ومسقط ، وكان ذلك القنصل هو ريتشارد بالمر ووترز من مدينة سالم بولاية ماساشوستس ، ولقد انضم إليه في العمل ابتداءً من شهر مارس ١٨٣٧م ممثل المؤسسة بروتردام وشيرد وهو من مدينة سالم أيضاً ، ثم وصل إلى مسقط بعد ذلك في أكتوبر ١٨٣٨م هنري مارشال عضو غرفة المحاسبة في مؤسسة سكوفيل وبرتون التي تعمل في نيويورك ، ولكنه غادرها بعد شهور قلائل لأسباب يغلب أن تكون شخصية محضة ، وقد اقترح عند مغادرته أن



يقوم سعيد بن خلفان - الذي ترجم المعاهدة - بتولي أعمال القنصلية في مسقط إذا اقتضى الأمر ، ولكن لم يعين سعيد بن خلفان في وظيفة القائم بالأعمال للقنصلية الأمريكية في مسقط إلا عام ١٨٤٣م وفي الفترة السابقة لذلك كان ووترز يتولى المسؤولية.

ولقد كان ووترز طيلة هذه المدة يتظاهر بالإفلاس ويعلن أمام السفن الأمريكية التي تحمل كميات كبيرة من البضائع أنه في عسرة مالية وكان يحول تسعة أعشار العمل إلى أخيه عن طريق جيرام ابن سيواجي المتولي لشئون الهند في زنجبار ، وأدى ذلك إلى أن الكثير من التجار الأمريكيين المترددين على زنجبار يتهمونه بأنه يقوم بتصرفات احتكارية ، ويتقدمون ضده بشكاوى إلى وزارة الدولة ، غير أن كل الشكاوى التي أرسلت ضده لم تأت بنتيجة تذكر .

ومهما يكن من أمر فإن وجود ووترز في زنجبار قد ساعد على الإسراع في تنمية التجارة مع الولايات المتحدة ، فكانت السفن الأمريكية تحمل إلى زنجبار المنسوجات القطنية والأواني الفخارية ، والبنادق والبارود ، ومستلزمات بناء السفن ، والساعات والأحذية وغيرها من المصنوعات ، وكانت تعود إلى أمريكا من زنجبار محملة بالصبغ والقرنفل والعاج وغيرها .





(٣)

فكرة الرحلة

كان لنمو التجارة مع الولايات المتحدة أثرها الطيب في نفس السيد سعيد باعتباره المستفيد الأول من هذه التجارة ، ولقد كانت شخصية ووترز في أول الأمر عقبة في سبيل نمو هذه التجارة لما امتاز به ووترز من الصرامة وعدم قبول التنازلات ، على أنه أمكن فيما بعد أن يتم تفاهم متبادل بينه وبين السيد سعيد.

ولقد اعتبر ووترز السيد سعيد هو أكبر عميل للتجارة الأمريكية في التقارير التي قدمها ، ولئن كانت هذه التقارير تقتصر إلى الإحصائيات الدقيقة إلى أن حجم مشتروات السيد سعيد كما يبدو قد تعدت الخمسة والثلاثين ألف دولار في مارس عام ١٨٤٥ م ، وهو الوقت الذي كانت التجارة فيه قد بدأت تتناقص ، ووصف مساعد ووترز هذا المبلغ بأنه عملية صغيرة بالنسبة للسلطان ، الذي كان يعتبر تاجر الجملة الرئيسي في نطاق مملكته.

إن الطريقة التي يتبعها السلطان في بيع البضائع المستوردة بسيطة للغاية ولكنها في نفس الوقت ذات فعالية كبيرة ، وهي كما وصفها أحد المراقبين الأمريكيين ، أن السيد سعيد يستدعي عدداً من التجار الهنود ويقسم بينهم ما يستورده بكميات تتناسب مع حجم النشاط التجاري لكل من هؤلاء التجار ، وكانت تفرض عليهم البضائع بصرف النظر عن حالة الطلب على السلعة في السوق المحلية ، وكان هؤلاء التجار يسددون قيمة البضاعة الأصلية مضافاً إليها ٢٠ أو ٢٥ في المائة ، ولئن كانت هذه الطريقة تبدو الآن وكأن فيها شيئاً من التحكم ، إلا أنها كانت الطريقة السائدة في الشرق كله.

ولقد امتلأ ذهن السيد سعيد بفكرة تنشيط التجارة بإرسال سفينة إلى الولايات المتحدة ، وسأل نفسه هل يمكن أن ينمي إرسال مثل هذه السفينة الاتصالات التجارية المباشرة لكي لا يستمر الاعتماد في التجارة مع الولايات المتحدة على السفن الأمريكية التي تأتي إلى زنجبار بالبضاعة وتحمل منها البضاعة إلى أمريكا؟... وقد بدأت هذه التساؤلات التي أثارت الفكرة في ذهن السيد سعيد وساعد على ذلك أن أسطوله الذي يتكون من عشرين سفينة مختلفة كان يجوب المحيط الهندي فقط بحثاً عن التجارة في أوقات السلم التي لا يستعمل فيها الأسطول لأغراض أخرى.

وكان في مناسبة لقائه الأول مع روبرتس في يناير عام ١٨٢٨م قد اقترح أن يرسل إحدى الفرقاطات التي كانت في المحيط الهندي إلى الولايات المتحدة بمجرد عودتها إلى ميناء زنجبار لكي تشتري بعض الذخائر والبضائع من أمريكا.

غير أن السيد سعيد كان متردداً في تنفيذ الاقتراح ويرجع هذا التردد أساساً إلى عدم وجود القبطان المناسب لقيادة هذه الرحلة الطويلة ، ذلك أن معظم بحارة السيد سعيد لم يكونوا قد اجتازوا البحار فيما وراء رأس الرجاء الصالح بجنوب أفريقيا ، ولذا كان تفكيره أن يقوم روبرتس نفسه بالسفر على السفينة ، غير أنها تأخرت بصورة لم تكن متوقعة ، وكان روبرتس يستعجل العودة إلى بلاده بعد انتهاء مهمته مما أدى إلى صرف النظر عن الفكرة من أساسها ، وبالإضافة إلى ذلك فإن ما حدث للسفينة بيكوك جعل السيد سعيد يعطي وعداً لروبرتس بأن يرسل سفنتين بدلاً من سفينة واحدة ، إحداها تحمل طاقم السفينة بيكوك إلى وطنهم ، وتكون الثانية تحت تصرف روبرتس ليكمل رحلته في المحيط الهندي والتي يتجه بعدها إلى الولايات المتحدة.

ولقد ظن البعض أن من وراء هذا الكرم الذي أبداه السيد سعيد غرضاً إقتصادياً هو أن تعود السفينتان محملتين بالبضائع ، غير أن هذه الخطط كلها فشلت إذ قد تم إصلاح السفينة بيكوك ، ووصلت سالمة إلى مسقط ثم تابعت رحلتها إلى بمباي لإجراء الإصلاحات اللازمة فيها.

تأجل تنفيذ المشروع مدة أطول بوصول ووترز إلى زنجبار ، ولقد قال البعض إن ووترز حاول أن يشي السيد سعيد عن إرسال إحدى سفنه إلى الولايات المتحدة لأن الصلة القوية بين ووترز وأصحاب المصالح التجارية في سالم جعلته لا يشجع على التعجيل بتنفيذ خطة السيد سعيد ، غير أنه لا يوجد دليل يثبت هذا الزعم.

وفي أبريل ١٨٣٩م وصلت إلى زنجبار السفينة ارشيبا لدجراسي بقيادة الكابتن ساجاري من نيويورك ، وقد أدى وصول هذه السفينة إلى إحياء الفكرة ثانية ، لقد جاءت هذه السفينة من مؤسسة جديدة تكونت في نيويورك تحت اسم مؤسسة سكوفيل وبرتون وتحمل على ظهرها إدارج يوتسفورد كمدير للبضائع ، وكذلك المستشار المختص بشئون بمباي ويسمى ر. ستار باركر ، وكلاهما من هذه المؤسسة الجديدة.

وحتى وصول هذه السفينة لم تكن الشركات البحرية القائمة في نيويورك قد أبدت اهتماماً كبيراً بالتجارة مع زنجبار ومسقط ، إلا أن مؤسسة سكوفيل وبريتون قد بدأت توجه اهتماماً خاصاً إلى هذه المنطقة ويرجع ذلك إلى أن المساهمين الرئيسيين في هذه المؤسسة قد نجحوا في الحصول على معلومات كان قد جمعها آدموند روبرتس عن إمكانيات الإتجار مع بلاد السيد سعيد ، ولقد ساعد على ذلك أن هاريت ابنة روبرتس كانت قد تزوجت من عضو الكونجرس أماسا باركر الذي أصبح فيما بعد قاضي نيويورك ، وكان صديقاً لكل من سكوفيل وبريتون ، ومن خلال



هذه الصلة استطاعا التوصل إلى معلومات دقيقة من مذكرات روبرتس التفصيلية عن مسقط وزنجبار . وكان روبرتس قد احتفظ بأصولها ضمن ممتلكاته الخاصة واعتاد أن يرسل إلى وزارة الدولة صوراً منها ولما مات انتقلت هذه الأوراق إلى أولاده .

ولقد نجح بتسفورد في تسويق بضائع قيمتها ٢٠ ألف دولار ، مما دفعه إلى استحثاث السيد سعيد على فتح طريق مباشر للتجارة بين بلاد السيد سعيد ونيويورك ، ولم يهتم السيد سعيد في أول الأمر مدفوعاً بتكتيك خاص من جهة ولتجنب مواجهة ووترز من جهة أخرى ، رغم تلقيه هدية قدمت له وسعد بها وتتكون من بندقية جديدة ذات ثمانية طلقات لم يسبق له رؤيتها من قبل .

على أنه في اجتماع تم فيما بعد مع بتسفورد وافق على أن يقيم تجارة مباشرة مع نيوبيورك ، وقد تصرف سكوفيل وبتسفورد بطريقة مخالفة للطريقة التي تصرف بها تجار مدينة سالم من قبل ، فقد أمكنهما تشجيع الحاكم العربي على أن يرسل إحدى سفنه إلى الولايات المتحدة ونظراً لأن مؤسستهما لم يكن لديها السفن الكافية بحيث تخصص بعضها للتجارة مع شرق أفريقيا ، جاء ترحيبهما بهذه الفكرة كعمل له فائدته .

وحينما غادرت السفينة ارشيبالد جراسي من زنجبار تجاه مسقط ومباي كان السيد سعيد قد اقتنع تماماً بفكرة إرسال إحدى سفنه إلى نيويورك ، وأصدر أوامره للسفينة سلطنة التي كانت آنذاك في ممباي لتستعد وتتهيأ لهذه الرحلة .

كانت السفينة (سلطنة) بين السفن العديدة التي يمتلكها السيد سعيد هي أحسنها وأنسبها لهذه المغامرة ، وقد سماها باسم زوجته الأولى السلطنة عزة بنت الأمير سيف الحاكم في شيراز الفارسية ، وكانت سلطنة



أيضاً تتميز بأنها أحدث وأسرع سفن الأسطول العُماني ، وكانت أيضاً مزودة بطاقم أسرع ممتاز ، وقد وصفها القبطان الأمريكي الذي قادها بأن أشرعتها كانت تحتضن الريح وتوجه به السفينة إلى حيث تريد ، ووصفها هذا القبطان أيضاً بأنها كانت رطبة كعلبة المضخة ، وقد جعلتها هذه الصفات قادرة على أن تمخر عباب أي بحر وتتخطى بأشرعتها المنشورة أي عقبة تقابلها في البحار العليا .

ولقد كانت سلطنة فوق ذلك رمزاً لفخر السيد سعيد ، وعرفاناً للجميل من جانب الأمريكيين ، ذلك أنه بمجرد وصول أخبار جنوح السفينة بيكوك الأمريكية عند جزيرة مصيرة سنة ١٨٣٥م ، سارع السيد سعيد بإصدار أوامره إلى سلطنة التي كانت في ذلك الوقت في ميناء مسقط أن تتجه من فورها إلى السفينة الأمريكية لإنقاذها .

وبناء على هذه الأوامر اتجهت السلطنة إلى جزيرة مصيرة حيث التقت بالسفينة بيكوك وكانت جانحة على بعد خمسين ميلاً من الجزيرة وكان قائدها قد استطاع أن يلقي أكثر ما عليها من بضائع في محاولة لإنقاذها من الغرق وجرتها سلطنة إلى ميناء مسقط في رحلة خطيرة ولكنها ناجحة .

وفي أوائل أغسطس عام ١٨٣٩م أعلن السيد سعيد عن نيته في أن يرسل (سلطنة) إلى الولايات المتحدة وأخبر ووترز بذلك ، وكان يعلم أن القنصل ووترز يأمل العودة إلى الولايات المتحدة على ظهر هذه السفينة ولقد قوبل هذا الخبر بكثير من الإمتنان ، ولكن السيد سعيد كان مدفوعاً إلى ذلك أيضاً بإدراكه عدم وجود قبطان مناسب ليقود السفينة إلى أمريكا .

حدث أن السيد سعيد قد تحدث مراراً إلى ووترز في أن يساعد في الحصول على أحد الزملاء من سفن البحرية الأمريكية التي تأتي إلى زنجبار ليقود السفينة التي ينوي إرسالها عبر المحيط الأطلسي إلى أمريكا ، وكان



ذلك قبيل سفر السيد سعيد إلى مسقط في سبتمبر عام ١٨٣٩م، وحينذاك اعترف له ووترز بعدم قدرته على قيادة السفينة بنفسه، وإن كان يتوقع فقط أن يبحر عليها لولا أن موعد رحيلها لم يتحدد وبسبب المعلومات التي عرفها عن سلوك سليمان قائد السفينة، ثم كان وصول السفينة الكافالير من سالم مما جعله يعجل بالإبحار إلى الوطن عليها في يناير سنة ١٨٤٠م.

ومع ذلك فإنه عند مغادرته زنجبار كان يتوقع أن يكلفه السيد سعيد بتولي أعماله في الولايات المتحدة، وأن يبعث معه بهدايا إلى إدارة الرئيس الأمريكي، ولكن ذلك لم يتم على ما كان يهوى.

وحينما جاء دور اختيار المبعوث الذي سيمثله في الولايات المتحدة وجد السيد سعيد صعوبة كبيرة في الأمر، إذ أنه كان يتوق إلى أن تنجح البعثة في مهمتها وتثير اهتمام وإعجاب الأمريكيين لأقصى درجة ممكنة، وعلى هذا فكان أول من اختاره هو أحد أصهاره ويسمى سيد حسن بن إبراهيم، الذي لمس فيه أنه على استعداد لقبول المهمة، وكان على مستوى تعليمي راق إذ تلقى تعليمه في الهند، وكان يجيد اللغة الإنجليزية ويتميز بالذكاء والجادبية الشخصية وكان السيد حسن أيضاً ممن حاز إعجاب الأمريكيين والأوروبيين الذين يعرفونه، وقد اعتبره ووترز أفضل من يقوم بهذه المهمة، ولكن السيد حسن أشفق على نفسه من المغامرة وخشى من عدم نجاحها بالصورة التي يرتضيها، فضلاً عن عدم رغبته في تحمل مشقات السفر الطويل غير المريح، فجعله ذلك كله يدعي المرض، فاضطر السيد سعيد إلى اللجوء إلى سكرتيره الخاص أحمد بن نَعْمَان ليقوم بالمهمة.

وأحمد هذا هو ابن نَعْمَان بن محسن بن عبد الله بن الكعبي البحراني، ولد في البصرة عام ١٧٨٤م حيث تلقى تعليمه الإسلامي، وكان أبوه عربي الأصل من نسل بني كعب حيث استوطنوا ساحل الخليج، أما أمه فقد

كانت فارسية الأصل ، ولا يعرف شيء عن طفولته ، أو عن حياته الأولى ، ولكن يقال أنه بدأ حياته كغلام يخدم على ظهر سفينة ، وقد أظهر في عمله ذكاء وقدرة نادرة جعلته يترقى سريعاً في أعمال البحرية ، وهناك دلائل كثيرة على أمانته وتقواه ، غير أن الكثير من حساده كانوا يحاولون النيل منه بأن يلصقوا به بعض التهم الكاذبة ، وفي بعض الأوقات كانوا يتهمونه بأنه ذو وجهين.

كان أحمد قد التحق بخدمة السيد سعيد في مسقط في أوائل العشرينيات ويقال أنه سافر إلى الصين وإلى مصر وإلى أوروبا في مهمات عديدة ممثلاً لسيدته ، وكانت معظم هذه المهمات هي مسئوليته عن البضائع الخاصة بالسيد سعيد ، أو كمدير للسفن التجارية التي كان يسافر عليها ، وقد سافر الحاج أحمد إلى مكة لأداء فريضة الحج في تاريخ غير معروف بالدقة ، ولكنه يحتمل أن يكون في عام ١٨٢٤م وهي السنة التي قام فيها السيد نفسه برحلة الحج الكبرى في حياته.

واستمر أحمد في عشر السنين التالية يكلف بمهمات تجارية خاصة بالسيد سعيد وفي عام ١٨٣٥م أصبح سكرتيراً خاصاً للسيد سعيد ، وظل يشغل هذه الوظيفة حتى وفاة السلطان ، وكان كثيراً ما يكلف بالأعمال التي لها اتصال مع ووترز ، وعلى الرغم من أن ووترز لم يكن يعبأ كثيراً بالحاج أحمد في عام ١٨٤٠م ، إلا أن السنين قد ساعدت على نمو الصداقة بينهما.

وبعد أن استقر الرأي على اختيار سلطنة للسفر إلى أمريكا ، وأن أحمد هو المبعوث الذي سيقوم بالمهمة ، بدأ الاستعداد للرحلة وظلت السفينة راسية في ميناء مسقط من ١٦ إلى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٣٩م تشحن بالبضائع ، ثم أبحرت إلى زنجبار لتأخذ مزيداً من البضائع ، وأصبحت مستعدة في أوائل فبراير ١٨٤٠م لتعبر المحيط الأطلسي.



سُلْطَانَة فِي نِيُويُورْكَ

وكان الميناء الوحيد الذي رست فيه قبل نيويورك هو ميناء سانت هيلانه حيث قام أحمد بزيارة رسمية لحاكمها ، وقدم له زجاجة من العطر الوطني كهدية له من السيد سعيد ، وكانت مدة السبعة والثمانين يوماً التي قضتها السفينة سلطنة في رحلتها إلى نيويورك ليست أكثر من التي كانت تقضيها السفن الأمريكية المماثلة ، إن لم تكن أقل منها ، فعلى سبيل المثال قضت السفينة كافالير التي سافر عليها ووترز مائة وستة عشر يوماً لتصل إلى مدينة سالم .





(٤)

سُلْطَانَة فِي نِيُويُورْكَ

كانت نيو يورك عام ١٨٤٠م حينما وصلتها سلطنة مدينة فتية بهيجة صاحبة مليئة بالنشاط والحيوية ، تنمو نمواً سريعاً للغاية ، فقد تضاعف عدد سكانها في العشر السنوات السابقة حتى بلغ ٣٢٠ ألف نسمة ، وكان هذا النمو في ازدياد مضطرد ، وخلال شهر مايو الذي وصلت في أوائله السفينة سلطنة رست بالميناء المزدهر المستمر الأزدهار نحو ١٨٥ سفينة أخرى .

وكان من دواعي فخر نيو يورك على غيرها من مدن العالم في ذلك الوقت صحافتها المتطورة ، فكانت تصدر بها عشر جرائد يومية تمتلئ صفحاتها بملخصات عن التطورات المحلية والشئون المدنية ، والمشاكل المحلية مثل مشكلة استقلال تكساس ومشكلة ثورات الهنود الحمر في فلوريدا وغيرها من مشكلات العصر التي كانت تشغل أذهان الناس ، وبمجرد وصول حقيبة البريد مع إحدى السفن الآتية من أوروبا كانت صفحات هذه الجرائد تمتلئ بأخبار منقولة عن صحف أوروبا .

وفي نفس الوقت كانت مدة رئاسة الرئيس مارتن فان بورين قد قاربت على الانتهاء ، وكانت أخبار انتخابات الرئاسة تحتل العناوين والصفحات الرئيسية ، ومن أهم تلك الأخبار أخبار الاجتماع الذي عقده الحزب الديمقراطي في بلتيمور في الخامس من مايو ، أي بعد وصول أحمد بأيام قليلة ، وتقرر فيه أن يرشح فان بورين للمرة الثانية في انتخابات الرئاسة ، وبعدها بقليل رشح حزب المحافظين وليم هنري هاريسون ، وبذلك دخل كل من الديمقراطيين والمحافظين المعركة الانتخابية بكل قواهم ، وهكذا كانت نيو يورك في مطلع العقد الرابع من القرن التاسع عشر في قمة نشاطها وحيويتها .



ولقد كتبت جريدة الهيرالد الصباحية تصف نيويورك (ما أروع هذه المدينة، إنها مليئة بالمفاجآت والمرح والغرائب وكل ما يثير الدهشة، إن الأحداث المثيرة فيها لا تتوقف، فكلما انتهى حدث مثير حل محله حدثان أو ثلاثة أو أكثر)..

وصل أحمد مبعوث السيد سعيد في هذه الظروف، فأعطى وصوله أهالي نيويورك مادة جديدة للإثارة، وفرصة جديدة للمشاهدة والمتابعة والتعليق، وهياً فرصاً أكبر لمن يريدون كتابة القصص، ويذكر البعض أن أهالي نيويورك قد وجدوا في حضور أحمد إثارة أكثر من إثارة الراقص النمساوي وجولات الهولنديون بسراريلهم القصيرة في حفلات الرقص. كان لخبر وصول أحمد وقعاً غريباً على أهالي نيويورك فاهتمت به صحيفة الهيرالد الصباحية المشهورة التي يرأس تحريرها جيمس جوردن بنيت، وكذلك جريدة صحافة نيويورك (نيويورك بريس) وقد عبرت الهيرالد الصباحية عن ذلك بقولها: (إنها مفاجأة مثيرة حقاً لنا نحن الأمريكيين). كما ذكرت الهيرالد عن أن السيد سعيد شخصية هامة لها صفة الطموح إلى جانب حبه للاستثمار وشبهته في ذلك بشخصية محمد علي في مصر.

على أن هذه المقارنة بين شخصية السيد سعيد وشخصية محمد علي مقارنة غير دقيقة، وإن كان هناك أوجه شبه من بعيد، ذلك أنه إذا دققنا النظر نجد أن كلاً من محمد علي والسيد سعيد قد حكما في زمن متعاصر تقريباً، وقد تبادلا الرسائل حول مشاكلهم المشتركة.

وقد أدى الانتصار الذي أحرزه محمد علي إلى أن السيد سعيد غير من خططه بالنسبة لشرق إفريقيا، ومع ذلك فقد ظهرت أزمة متصاعدة منذ عام ١٨٣٩م حينما انكشف ما لحاكم مصر الباشا من أطماع في جنوب الجزيرة العربية.

ولقد نشرت جريدة البوست المسائية أنباء عن المساعدة التي قدمها السيد سعيد للسفينة بيكوك ، وأضافت أنه لا يوجد في العالم المسيحي من يتصف بالأخلاقيات السامية التي أصبح العالم ينظر إليها بإعجاب وتقدير مثل ما ظهر في هذه المساعدة من جانب حاكم مسقط ، كما ذكرت أيضاً جريدة نيويورك الأمريكية أنه يجب تقديم كل التسهيلات الممكنة من جانب الحكومة للبعثة الأولى التي أرسلها الحاكم العربي للتجارة مع العالم الجديد ، ويجب أن تكون هذه التسهيلات لائقة بما قبل به الأمريكيون من معاملة حسنة في بلاده وما غمروا به من كرم عربي بالغ.

وكانت الاستجابة لذلك في نيويورك فعالة ، فبمجرد التعرف على شخصية أحمد سارع العميد البحري رانشو بإبلاغ هيئة نواب الحاكم في مجلس نيويورك عن مركز المبعوث ، وعن طبيعة المهمة التي أتى بها في هذه الزيارة البالغة الأهمية على ظهر السفينة سلطنة ، وقد أبدى رانشو في إبلاغه لهيئة نواب الحاكم استعداده الشخصي للتعاون وتقديم التحيات اللازمة لمبعوث السيد سعيد.

وبناء على هذه المعلومات اجتمعت هيئة نواب الحاكم المتفرعة من المجلس العام للمدينة في ٤ مايو سنة ١٨٨٠م لوضع صيغة الترحيب بالمبعوث العربي ، وتضمن هذه الصيغة اعتبار وصول السفينة سلطنة خطوة أولى لتدعيم الصداقة والتجارة بين البلدين ، وأضاف البيان أنه نتيجة للرغبة المتبادلة في ذلك فإن الصداقة والتجارة بين البلدين سوف تتقدم بسرعة كبيرة ، وعبرت الهيئة في بيانها عن الترحيب بوصول السفينة وكذلك تحية لأحمد بن نعيم قائد السفينة السلطنة.

واجتمعت هيئة المساعدين في نفس اليوم ، وهي هيئة مشتركة من كل من المجلس العام للمدينة ونواب الحاكم وقررت تكوين لجنة استقبال



تضم خمسة أعضاء من كل من الهيئة والمجلس لتقديم التحية والترحيب باسم المدينة.

وبمجرد أن شاعت أخبار وصول السفينة العربية اندفع الكثير من أبناء نيويورك إلى رصيف الميناء حيث تجمهروا لإلقاء النظرة على السفينة العربية ومشاهدة طاقمها العربي غير المألوف لديهم ، ولم يرق للبحارة أن تأتي الناس لمشاهدتهم فتركوا ظهر السفينة ولجأوا إلى ممراتها للإختفاء من أوجه الناس الفضوليين.

وفي ٨ مايو أدرك فريديريك ليذر خطورة المضايقات التي تحدث للبحارة ، وبدأ ينظم عملية إبعاد الجماهير عن السفينة ، ولكنه اضطر إلى تعيين اثنين من رجال البوليس لمنع الأهالي من الصعود إلى السفينة ، وظلت السفينة تحت حراسة البوليس حتى نقلت إلى حوض الأسطول الأمريكي في أواخر الشهر.

ولقد اجتذب طاقم السفينة أنظار الناس ، فعندما نزلوا إلى الشاطئ تمسكوا بملابسهم الوطنية الجذابة ، وقد دفع الفضول بعض الأفراد إلى الاقتراب منهم وتحسس لحاهم للتأكد من أنها طبيعية غير مستعارة ، ولقد عبرت جريدة الهيرالد الصباحية عن هذا الاهتمام بقولها : (كان العرب ينظرون حولهم ويرمون أشنابهم ويستغربون من نظرات التعجب التي تبدو على وجوه الأمريكيين).

على أن هذه النظرات لم تكن تحمل أي نوع من العداوة أو السخرية المقصودة بل كانت في أغلب الأحيان نوعاً من الإكرام ورغبة في التعارف بأعضاء طاقم السفينة (سلطانة) وكثيراً ما كان الأمريكيين يغرون بعض البحارة العرب إلى تناول الشراب معهم في أركان المدينة ، ولما لم يكن أي من أفراد الطاقم قد اعتاد شرب المسكرات فإنه قد وقع كثير من حالات السكر

الخطيرة ، وعلى سبيل المثال حسب ما ذكرت جريدة نيويورك سيجنال أن أحد البحارة وصل إلى السفينة وهو يترنح ويصيح ، فلما رآه أحد كبار السن من ذوي اللحى البيضاء الطويلة أخذ يوبخه على المنكر الذي ارتكبه وحذره من مثل تلك التصرفات.

أما عن أحمد والضابطين الكبيرين في طاقمه فقد كرموا تكريماً بالغاً، ففي يوم الأربعاء ١٣ مايو سار معهم أعضاء المجلس العام للمدينة في جولة لمشاهدة معالم نيويورك وضواحيها ، وزاروا أثناء هذه الجولة معهد العميان ، ومركز رعاية الصم والبكم ثم اتجه الجميع إلى منزل وليامز الرئيس السابق للمجلس في منطقة بلومنجدال التي تسمى حالياً مرتفعات مورننج سايد، وهناك تناولوا الغداء ، وأعقب الغداء جولة قصيرة في سكة حديد هارلم، وكانت تجربة جديدة بالنسبة للسيد أحمد وصاحبيه ، إذ لم يسبق لهما أن ركبا السكة الحديد.

وأخذتهم القوارب بعد ذلك إلى الإصلاحية ، وإلى الحديقة المفتوحة في جزيرة بلا كويل لمشاهدة المتسكعين والمتعطلين ومدعي الفلسفة ، وأعقب ذلك زيارة إلى بلفيو ، ثم توج الجولة عشاء رسمي في قاعة مجلس المدينة ، وكان أحمد قد أنهك من طول التجوال ، فلو حظ أنه لم يتناول إلا قليلاً من الطعام والشراب المقدم له.

وكان بولدنج سكرتير البحرية قد أصدر أوامره المكتوبة في ٥ مايو إلى رينشو بأن يولي كل الاهتمام لقائد السفينة العُمانية التي وصلت مؤخراً وضباطها ، وبناء على ذلك وجه رينشو الدعوة إلى أحمد وضباطه للقيام بزيارة رسمية لمرسى وحوض الأسطول الحربي وبناء على هذه الدعوة قامت أربعة قوارب حربية في الساعة الحادية عشر من يوم الإثنين ١٨ مايو بعبور النهر الشرقي حاملة الضيوف العرب إلى ميناء الأسطول الأمريكي ،



وكان كل قارب يحمل اثني عشر بحاراً. ملبسهم البضاء والرسمية كحرس شرف، وكان على ظهر قارب القيادة العميد البحري يزهو في ملابسه الرسمية الزرقاء اللون وعلى كتفيه النجوم والأشرطة المشغولة بالخياطة الذهبية ونزل بخطى عسكرية متجهاً إلى قلعة جاردن حيث كانت المقابلة قد رتبت هناك.

نزل رينشو لتحية أحمد وضباطه ولتقديمهم إلى العمدة وإلى أعضاء مجلس مدينة بروكلين الذين كانوا قد أبدوا رغبتهم في المشاركة.

وكان العرب في ثيابهم الطويلة الخضراء اللون المقلدة بزرابير حتى العنق، وقد لوحظ أن أحمد وعبدالله لم يكونا يلبسان الحذاء العسكري وكانا يسيران على أقدامهما، أما جمعة فقد كان يلبس حذاءً جلدًا من الأحذية الواردة إلى زنجبار من سالم، ورغم أن أحمد كان قد أصيب بتورم وألم في قدميه بعد وصوله بأيام قليلة إلى أنه كان بادي الحيوية هو وضابطه الأول عبدالله، بينما كان يبدو على جمعة شيء من الخجل والحياء في معاملاته.

وبعد تبادل التحية صعد الجمع إلى القوارب الأربعة وتحركت في صف واحد إلى حوض الميناء الحربي، وبدخولهم الخليج المفتوح كانت السفينة كارولينا الشمالية في استقبالهم بالميناء، فأطلقت ثلاثة عشر مدفعاً، تحية للزوار وكان رجالها على استعداد لهذا الاستقبال، فلما اقتربت القوارب من جانب السفينة أوقفت مجاديفها، وصعد الضيوف العرب والمضيفون في صف واحد إلى السفينة.

ولما كان من الواجب أن يمر أحمد في أنحاء السفينة في جولة تفتيشية، نزل وهو يعرج إلى الأجزاء السفلى من السفينة حيث زار الوحدة العلاجية والمستشفى، ثم توجه معه قائد السفينة إلى أحد قمراتها للراحة، وكان في حقيقة الأمر يحتاج إلى مثل هذه الراحة.

وبعد نحو الساعة ترك الجمع السفينة وسط طلقات أخرى من المدافع للتحية ، واتجهوا إلى رصيف الميناء حيث كان في استقبالهم العميد البحري سايلاس سترنجهام مساعد رانشو ، وأطلقت البارجة مدافعها أيضاً أداءاً للتحية، ثم أخذت ثلاثة طبول تدق بينما سار حرس شرف لتحية ممثل السيد سعيد.

وعقب تقديم طاقم ضباط الميناء البحري الذين كانوا جميعاً في كامل زيهم الرسمي ، توجه الضيوف العرب مع الجمع لمشاهدة المنشآت الحربية، حيث شاهدوا سفينتين حربيتين كبيرتين تحمل كل منهما ٧٤ مدفعاً ، هما السفينة فرانكلين والسفينة واشنطن ثم توجهوا لزيارة مصنع الصواري ومصنع الجبال ثم أخيراً زاروا قاعة الاجتماعات العامة التي علق على جدرانها صور الرؤساء السابقين.

وبعد انتهاء زيارة الميناء اتجه الجميع إلى المنزل الجميل الذي يقطنه القائد البحري رانشو حيث تقابل أحمد وضباطه مع السيدات ومع الضيوف الآخرين الذين وجهت إليهم الدعوة للحضور وعلى أنغام موسيقى البحرية قدم غذاء مليء بالأطعمة الشهية التي صحبتها وأعقبتها المشروبات المختلفة والحلوى والمثلجات.

وكان من بين من حضر هذه الوليمة جلبرت ديفز حاكم جزيرة كونوي الذي وجه الدعوة للضيوف العرب لزيارة جزيرته ، وكان الضابط الأول والثاني كلاهما يتكلمان بلغة إنجليزية ضعيفة للغاية مما جعل جميع المحاولات لجرهم في الحديث لا تلاقي نجاحاً كبيراً.

أما أحمد ذاته فقد حظى بإعجاب الجميع لرقته وعذب حديثه فكل من تحدث إليه اعترف بذلك ، ولقى جمعة إعجاباً خاصاً لما يجمعه من سذاجة وذكاء معا ، وسئل أحمد عن رأيه في المرأة الأمريكية ومقارنتها بالمرأة العربية من حيث الجاذبية فتصدى للدفاع عن المرأة العربية بأدب ورقة.



وحينما حلت صلاة العصر استأذن أحمد ورفاقه ، واتخذوا لهم جانباً من البهو لأداء الصلاة ، وفي نفس الوقت كانت الترتيبات تجري لمبيتهم تلك الليلة في بيت العميد ، ولذلك أمكن أن يستمر الحفل إلى المساء في بهجة وسرور ، وانتهى الحفل وانصرف الجميع يحملون معهم الذكريات الجميلة لتلك الليلة الفريدة.

وبعد أيام قلائل وصلت الدعوة إلى أحمد وضباطه من النائب فيسك رئيس سكة حديد لونغ أيلاند للسفر بالقطار إلى آخر الخط الحديد الممتد إلى مدينة هكسفييل وقد طلب العمدة فورمان وأعضاء هيئة بروكلين والعميد رينشو وبعض رجال الصحافة وغيرهم ، وبدأت الرحلة صبيحة السبت ٢٣ مايو حيث أخذ الضيوف العرب عربة تجرها الخيول إلى محطة السكة الحديد في كلينتون بجزيرة لونغ أيلاند ، مارين بشوارع الأطلسي إلى بروكلين ، وكان بصحبته العميد رانشو والمستر جورج بار كلاي الوسيط الإنجليزي المصاحب لأحمد.

وصل الجمع إلى محطة السكة الحديد يتوسطهم أحمد في عباءته المفتوحة حيث كان هناك حشد كبير من السيدات اللاتي آتين لمشاهدة الضيف العربي ، وسير قطار خاص لهذه الرحلة إضافة إلى القطارين العاديين الذين يسيران بانتظام كل يوم وكان هذا القطار الإضافي الخاص في انتظار الضيف وصحبه ، كانت قاطرته قد صنعت في بالدوين وتسير بأربع عجلات ولها مدخنة ضخمة تكاد تكون في نفس حجم غلاية القاطرة ، ومن خلف القاطرة خزان للمياه وخشب الوقود موضوعات على عربة مسطحة ملحقة بالقاطرة ، وخلف ذلك عربات الركاب المطلية باللون الأصفر الفاتح.

بمجرد أن ظهر الضيوف العرب وشاهدوا الجمع الكبير انحنوا تحية لهذا الجمع واتجهوا إلى العربة الأولى وما أن صعد الجميع إلى عربات القطار حتى



بدأ رحلته التي تبلغ ٢٨ ميلاً ليقطعها في ساعتين حيث سار القطار تدريجياً بضجته وصفاراته المعهودة وظل كذلك إلى أن بلغ سرعته القصوى التي تزيد قليلاً عن عشرة أميال في الساعة.

كان خبر الرحلة قد وصل إلى جميع الأماكن على طول خط السكة الحديدية ، فخرج المزارعون من كل صوب واصطفوا على طول الخط منتظرين مرور القطار بأعناق مشرّبة ليلقوا نظرات على الضيوف العرب ، وعند مدينة جامايكا الصغيرة التي وصلها القطار قبيل الظهر ، كان هناك جمع كبير من الناس اخترقه أحمد وصاحبه الضابطان وسط ضجة كبيرة إلى فندق المدينة حيث أقيم حفل استقبال على شرفهم ، ثم ساروا عبر شوارع القرية الصغيرة إلى مزرعة ديبستر أوجدن التي أعجب أحمد كثيراً باتساع رقعتها.

وفي أثناء زيارة المزرعة قدم أحد المزارعين باقة من الزهور إلى الضابط الأول عبدالله ، وكان من قبل قد تلقى باقة أخرى من الزهور من إحدى السيدات عند الهبوط من القطار ، وحينما طلب منه رانشو على سبيل المزاح أن يلقي بهدية الورد القديمة لم يرض عبدالله عن ذلك ، بل ضمها إلى صدره بدلاً من إلقائها ، وقد أعجب الجميع بهذا التصرف.

وبعد أن غادر القطار قرية جامايكا بقليل توقف ثانية وهنا قال رانشو لأحمد ورفاقه : (لقد توقفنا لنسقي الحصان) ، فضحك أحمد استغراباً ولكن رانشو أخذ يشرح له حاجة غلاية القاطرة إلى الماء.

وقبيل أن يصل القطار إلى هايكفيل بميل واحد وقف القطار ثانية ودعى أحمد صاحبه بصحبة نائب الحاكم فيسك لتفقد القاطرة وصعدوا إلى كابينة السائق كي يشاهدوا كيف تعمل تلك القاطرة الكبيرة ، ولكنهم لم يحتملوا الحرارة الشديدة فيها فخرجوا إلى جانب الخط الحديدي ليروا



عرضاً لسير القطار وسرعته ، وحينئذ سأل رانشو : هل يمكن لخيولكم أن تجري بهذه السرعة فأجابه أحمد بغمزة من عينيه (نعم .. تستطيع) ، وصمت برهة ثم أضاف (لمدة دقيقة او دقيقتين).

وعند الوصول إلى هايكفيل كان في الانتظار جمع حاشد آخر خرجوا لمشاهدة الضيوف العرب والترحيب بهم ، وكانت قد مدت مائدة كبيرة حافلة في الفندق المركزي الكبير (سترال جراند أوتيل) أقامها جاكسون لتتسع للجميع ، ولئن كان أحمد وأصحابه قد ساءهم وجود الخمور إلا أنهم استمتعوا بطعام لذيذ ، كما استمتعوا بصحبة طيبة ، وكان سرورهم واضحاً ، ولكنهم أظهروه في رزانة وذكاء حسب ما ذكرت صحيفة لونج آيلاند ستار ، وانتهى الحفل بأن شرب الجميع نخب الضيف العربي أحمد ورفاقه ، ووعد المضيف أحمد بأن يعطيه نموذجاً للقطار ليأخذه معه إلى بلاده في رحلة العودة.

وفي رحلة العودة توقف القطار قليلاً عند جامايكا ثانية في الساعة الخامسة حيث قدم عصير الليمون وواصل القطار رحلة العودة إلى بروكلين. كانت الرحلة ناجحة وكان اليوم بهيجاً بالنسبة لأحمد ورفاقه ، الذين عادوا محملين بباقات الزهور ، ولقد نشرت الهيرالد تعليقاً على زيارة الضيوف العرب معلقة على ما أحدثته من اهتمام شديد فقالت : أثار العرب منذ أن جاءوا إلى هذه البلاد الكثير من الاهتمام والعطف ، وقد شاهدوا كل شيء وزاروا أماكن كثيرة غمرتهم بمختلف أنواع الهدايا ، على أن ما رآوه لا يثيرهم لدرجة الدهشة إذ يبدو أن من طبيعتهم ألا يثير دهشتهم شيء ، غير أنهم قد أبدوا الرضاء على ما لاقوه من اهتمام ، وكانوا دائماً على استعداد للتحدث وهم باسمون ، وأعينهم ناظرة إلى كل شيء باهتمام.

كان العميد البحري مستر بلينج في مقابلة في نور فلك مع سكرتير الدولة بولدنج ، وكان قد تلقى من مستر بلينج خطاباً فيه تعبير عن الأمل في أن ترد الولايات المتحدة الجميل الذي قدمه السيد سعيد عن طريق تكريم مبعوثه وضباطه على ظهر السفينة سلطنة.

ولقد أثارت الحالة السيئة للسفينة (سلطنة) عند وصولها فكرة رد جميل السيد سعيد الذي قدم من قبل مساعدة في السفينة بيكوك وكان ذلك عن طريق فكرة ضرورة إصلاح (سلطنة) إصلاحاً شاملاً على نفقة حكومة الولايات المتحدة ، وعليه ففي ١٩ مايو طلب بولدنج سكرتير البحرية من رانشو أن يزوده بتقدير التكاليف اللازمة لإجراء الإصلاح الشامل للسفينة العربية سلطنة.

قدم رانشو التقدير المطلوب ولكنه كان يرى أن من الأفضل أن يتم إصلاح السفينة إصلاحاً شاملاً في حوض البحرية الأمريكية ، ولذلك طلب مع تقديره أن يعطى التصريح اللازم ليأخذ السفينة إلى حوض البحرية لهذا الغرض ، وفعلاً أعطى التصريح وقامت السفينة البخارية ويف بسحب سلطنة إلى حوض البحرية.

وبدخول (سلطنة) إلى حوض البحرية أصبح أحمد وضباطه ضيوفاً على الكابتن راتشو ، بينما أنزل طاقم السفينة على ظهر سفينة عادية رأسية في الميناء ، وفي خلال الشهرين اللذين قضتهما السفينة في حوض البحرية كان العمال يؤجرون للقيام بالإصلاحات اللازمة في سلطنة لتواصل رحلة العودة إلى وطنها وكان أفراد طاقمها يشاركون في العمل بمهارة فائقة أثارت الإعجاب الشديد.

لقد أعيد طلاء السفينة بعد أن أصلحت جدرانها وقشرتها وغطاؤها وقد رمت الثقوب وجددت صواريخها وقواربها وأضيف لها حوض للمياه



وبالوعة ومرحاض ، وعملت الترتيبات أيضاً لإلحاق قارب نجاة بها ، وتكلفت هذه الاصلاحات نحو خمسة آلاف دولار ، وقد طالب القبطان الذي قاد السفينة إلى زنجبار بمبلغ آخر من المال نظير إصلاح تم أثناء رحلة العودة ، وإن لم يعثر على ما يثبت هذا ، فقد ثبت فيما بعد أن تقدير التكاليف الخاص بالإصلاح كانت أقل بكثير مما كانت تحتاجه السفينة ، ومن ثم فإن بعض الأشياء قد تركت دون إتمام إصلاحها ، أو أصلحت على وجه غير كامل على أن السجلات البحرية تثبت أن كل ما كانت تحتاجه السفينة من جهد ومال لإعادتها لحالة الصلاحية قد بذلت إلى أقصى الحدود .

كانت لإقامة أحمد على الجانب الآخر من النهر في منطقة ميناء البحرية الأمريكية فرصة نادرة لإبعاده عن أنظار الجمهور والأضواء المسلطة عليه ، فلم يغادر أحمد رفاهه والمكان إلا مرتين أولاًهما لحضور حفل الإستقبال الذي أقامه حاكم نيويورك وليام ستوارد في ٣ يونيه والثانية لمقابلة ريتشارد جونسون نائب الرئيس الأمريكي .

وفي مناسبة الحفل الذي أقامه ستوارد تقابل أحمد مع فيليب هون عمدة نيويورك السابق الذي وجد في شخصية أحمد ما يستحق الإعجاب وعثر على ذلك في مذكرات هون الشخصية في حين لم يعثر في مذكرات أحمد أي شيء يذكر عن هون .

وقرب نهاية يونيه كتبت جريدة الهيرالد : لقد بدت على أحمد علامات الارتياح والرضى ، إذ كان يجلس لمراقبة ما يجري في حوض الأسطول وهو يمشط ذقنه ويؤدي صلواته صباحاً وظهراً وعصراً ومساءً وليلاً ، ويرتاح وقت الظهيرة كل يوم وفي أثناء إقامته هناك اتخذ مجلسه أمام الرسام المشهور موني ، ليرسم له الصورة المشهورة التي اشتراها فيما بعد مجلس مدينة نيويورك بمبلغ ٥٠٠ دولار وذلك بعد مغادرة السفينة سلطنة نيويورك بأيام قليلة .

ولقد كانت هناك احتمالات عديدة عن قيام أحمد برحلات خارج نيويورك ففي ١٧ مايو اجتمع مجلس مساعدي الحكام وأخذت الأصوات على موضوع تعيين بعثة رسمية من ثلاثة أشخاص لتقوم بتقديم أحمد رسمياً إلى حكومة الولايات المتحدة ، وفي أواخر مايو نشرت الهيرالد أنه من المنتظر أن يقوم أحمد بزيارة الرئيس الأمريكي في واشنطن ، ولكن لم يحدث شيء من هذا فلم يكن أحمد يحمل أي خطابات تفويض رسمية ولم يطلب أي مقابلة شخصية مع الرئيس الأمريكي ، بل إن مهمته كانت مهمة عمل تجارية مع ميناء ومدينة نيويورك.

وبالإضافة إلى ذلك فقد وجد أعضاء مجلس مدينة نيويورك عدم وجود أي ضرورة لإقترح مثل هذه الزيارة ، خاصة وأن فان يورين كان مشغولاً في ذلك الوقت بحملته الانتخابية لإعادة انتخابه للرئاسة ، فضلاً عن ذلك فإن المناقشات العديدة التي جرت في الكونجرس حول ما أشيع عن الهدايا الملكية كانت قد أغضبت الإدارة وجعلتها في موقف يعارض ترتيب أي نوع من الزيارات .

والغيت أيضاً الزيارة التي كان مزعماً القيام بها إلى مدينة سالم في ماساشوستس لأن كل المحاولات لتنفيذها قد فشلت ، والحقيقة أنه لم يكن يعرف على وجه الدقة عما إذا كان القنصل ووترز الذي كان يقضي إجازته في نيويورك في ذلك الوقت كان على صلة بالمبعوث العربي أم لا ، ولما لم تكن هنا أية أخبار عن أي اتصالات من هذا النوع ، فإن ما أمكن تخمينه هو أن ووترز كان في ذلك الوقت في شغل شاغل لتغيير شركائه في العمل وإيجاد شركاء جدد ، مما يجعل أحمد ينظر إليه بشيء من الماراة.

وهنا أيضاً - في مثل هذه الظروف - يصبح من غير اللائق على أحمد أن يقوم بنفسه بزيارة ووترز وبخاصة إذا أضفنا الصلات الشخصية السابقة



إلى الأمر . ولعل ووترز قد أغضبه أن يستعمل أحمد إحدى المؤسسات في نيويورك - خلاف المؤسسة التي يعمل بها ووترز - لتولي أعمال السيد سعيد هناك بينما كان المتوقع لما سبق أن ذكرنا أن يتولاها القنصل بنفسه كما كانت النية مبيتة من قبل.

ومهما كان الحال فإن الصداقة الشخصية بين الرجلين لم تنقطع بسبب هذا الموقف في نيويورك بل إنها استمرت قائمة وتوطدت حينما عاد الرجلان إلى زنجبار.

ومن الأمور الهامة التي يجب ذكرها ، أن الترف قد استنزف أموالاً طائلة وأن كشف حساب أحمد يبين أنه دفع بعض النقود مقدماً لبعض الضباط لتخضم من مرتباتهم البسيطة على أنه مما يدعو إلى الارتياح هو أن أحد المقربين إلى أحمد وهو ضابطه الثاني محمد جمعه قد أظهر أثناء زيارته العديدة اهتماماً كبيراً بتطوير نفسه ، الأمر الذي لاحظته زوجة العميد البحري الذكية ، فأمدته بالكتب وكانت تقضي معه أوقاتاً طويلة تدرس له ، وقد أظهر تقدماً سريعاً حتى أنه في الوقت الذي غادرت فيه (سلطانة) ميناء نيويورك كان جمعة يقرأ الإنجليزية بطلاقة ويكتبها بخط واضح.



حسابات الرحلة

على الرغم من انشغال أحمد بتلبية الدعوات وحضور الإحتفالات التي تقام لتكريمه في أمريكا والتي وجد نفسه غير قادر على إحتمالها ، فقد كان دائم التفكير في المهمة التجارية التي أوفده فيها السيد سعيد ، ولحسن الحظ بقيت كشوف الحساب الخاصة بالرحلة حيث وجد الأصل لدى الشيخ سليمان عبدالله شيبان في زنجبار ، وقد أخذت صورة منها محفوظة في متحف ببيودي في سالم بماساشوستس .

ومهما يكن الأمر كانت هذه الكشوف تعتبر وثيقة اقتصادية لها أهميتها، إذ أنها تلقي الضوء على بعض الممارسات التجارية في ذلك العصر، وتعطي صورة واضحة عن الأسعار والأذواق التي كانت تسود تجارة زنجبار منذ أكثر من قرن من الزمان ، وهي تعتبر أيضاً وثيقة إنسانية هامة رغم ما تمتلئ به من أخطاء حسابية ومبالغات .

ويعتقد القبطان البحري الأمريكي الذي أبحر على ظهر السفينة (سلطنة) في رحلة العودة إلى زنجبار أن الكثير من المصاريف الشخصية الخاصة بأحمد وضباطه قد أدرجت في كشوف الحساب كجزء من مصاريف نقل البضائع وتخزينها وتشوينها على أرصفة الميناء ، وغير ذلك من مصاريف غير مباشرة ، ولئن كانت هذه النفقات الشخصية مدرجة إلا أن الرقم المسجل تحت بند نفقات الشحن والتفريغ لا يكشف شيئاً من ذلك، إذا تبلغ كما تظهر في الكشوف ٧٠,٣٧ دولاراً (سبعين دولاراً وسبعة وثلاثين سنتاً) وهو مبلغ ضئيل لا يحتمل أن يكون فيه أي مبالغة أو أن تكون قد أدرجت ضمنه أي نفقات أخرى .

هذا ، ولم تدرج أي نفقات نظير التخزين ، وإنما أدرج مبلغان كبيران تحت بند نفقات إقامة ، الأول بمبلغ ٢٧١,٣٠ (مائتان وإحدى وسبعون دولاراً وثلاثون سنتاً) والثاني بمبلغ ٣٠٠ دولاراً (ثلاثمائة دولار) ، ويمثل هذا الرقمان نفقات أحمد والضباط في الفترة التي لم يكونوا فيها ضيوفاً على البحرية الأمريكية ، وإن كانا يقيمان أثناءها على ظهر السفينة ، وقد استلفت هذان الرقمان نظر السيد سعيد وأخذ يدقق فيهما أكثر وكان من الصعب أن يتصور أحد أن أي نوع من الاختلال في الحسابات كبيراً كان أم صغيراً قد يفوت على السيد سعيد ونظرته الثاقبة ولكن الاختلافات في الكشف كانت طفيفة والتعديلات في كشف الحساب كانت تتمشى مع ما كان يجري في ذلك الوقت ، ومن ثم كانت متوقعة ومقبولة لدى السيد سعيد .

وعلى أي حال فإن الذين كانوا يعملون مع السيد سعيد كسكرتارين لم يكونوا يحصلون على مرتبات كبيرة ، ومثال ذلك أحمد الذي لم يستطع خلال خدمته الطويلة أن يجمع ثروة كبيرة ، فقد كان يملك عند عودته من رحلته إلى أمريكا ما يعادل ٢٤٢ دولاراً فقط ، وقد حدث أنه بعد ذلك بأعوام قليلة وقع في أزمة مالية إذ كان يحتاج إلى مبلغ يعادل ٧٠ دولاراً ، هي عجز ما يملكه عن ثمن مزرعة أراد شراءها لأسرته ، ولم يستطع تدبير مبلغ العجز بسهولة .

أما عن البضائع التي حملتها (سلطانة) من مسقط وهي في طريقها إلى نيويورك فقد كانت ١٣٠٠ جوالاً من البلح و ٢١ بالة من السجاد الإيراني و ١٠٠ بالة من بن مخا ، وأضيف إلى ذلك في ميناء زنجبار ١٠٨ قطعة سن فيل و ٨١ حقيبة من الصمغ العربي المنظف تنظيفاً جزئياً و ١٣٥ كيساً من القرنفل و ١٠٠٠ قطعة جلد مجففة غير مدبوغة من إنتاج جزيرة ممبا ، ولم يكن من الأنواع الجيدة المعروفة .

وقد شحنت هذه البضائع لتصديرها للولايات المتحدة لحساب السيد سعيد ، على أن يشتري بئمنها بضائع أمريكية مصنعة تناسب احتياجات سوق زنجبار ومسقط أو مما يحتاجه الحاكم نفسه وما يحتاجه نجله الأمير السيد خالد لإستعماله الشخصي ، وكانت معظم البضائع التي حملتها (سلطانة) مألوفة في السوق الأمريكية ومماثلة لما كانت تحمله السفن الأمريكية من زنجبار فيما عدا السجاد العجمي الذي وصل لأول مرة.

ومما يذكر أن القرنفل الذي حملته السفينة قد جاء من مزارع السيد سعيد الخاصة وكان قد أدخل زراعة هذا المحصول في جزيرتي زنجبار ومبما، وبالإضافة الى هذه البضاعة الخاصة بالسلطان فإن السيد خالد قد صرح بحمل قليل من البضائع لحساب بعض التجار المبرزين في مسقط وزنجبار مثل سعيد بن خلفان وجيرام سيوجي . وإستجابة لما سبق أن اقترحه بوتسفورد فان هذه البضائع كانت ستسلم إلى مؤسسة سكوفيل وبريتون في نيويورك التي كانت قد أخذت على عاتقها تولي أمور الصفقة ، ولكن عند الوصول الى نيويورك واجه أحمد ما لم يكن يتوقعه من المشاكل في تسويق هذه البضاعة ، ذلك أن مؤسسة سكوفيل وبريتون كانت قد أشهرت إفلاسها وأصبحت في أيدي أصحاب الديون ، وكان لا بد أن يجد وسيطاً آخر بأسرع ما يكون.

وبموافقة لويد بريتون الشريك الوحيد في تلك المؤسسة التي أفلست اتجه أحمد إلى مؤسسة بار كلاي ولفنجستون لتتولى العملية ورغم افتقار مؤسسة بار كلاي ولفنجستون إلى الخبرة في تجارة زنجبار إلا أنها كانت تتمتع بإحترام كبير بين بيوت الأعمال في نيويورك ، كما أنها كانت تتولى إلى جانب الأعمال الأخرى وكالة التجارة لمؤسسة لويد اللندنية.

ولقد أمكن التوصل إلى إتفاقية خاصة بالتوزيع على أن تقوم المؤسسة ببيع حمولة (سلطانة) من البضائع نظير عمولة تبلغ ٥٪ وأن تقوم بعملية المشتريات نظير عمولة ٢,٥ في المائة وبناء عليه فقد نقلت حمولة السلطانة إلى مقر المؤسسة في ٢٦ شارع برودواي ثم قامت بالإعلان عنها في الصحف للمعانة قبل الشراء يوم ٨ مايو وأخذ جورج باركلي أحد كبار المساهمين في المؤسسة العملية على عاتقه.

وكانت حركة تصريف البضائع مرضية، إذ أن معظمها كان قد سلم للمشتريين قبيل نهاية يونيه، وقد بيع القرنفل بسعر يتراوح بين ١٩ و ٢٠ سنتاً للرطل أما الصمغ الذي كان يستعمل في صناعة الطلاء والورنيش، فقد بيع بسعر يتراوح بين ٢٣ و ٢٦ سنتاً للرطل الواحد من النوع المنظف و ١٥ سنتاً للرطل من النوع الخام وبيع التمر بسعر يتراوح بين ٣ و ٤,٥ سنتاً للرطل، واشترى تجار فيلادلفيا وبوسطن كميات من هذا التمر لإعادة تعبئتها ونقلها إلى الأسواق الأجنبية.

وبيع العاج بمبلغ ٧٥ دولار للسن الواحدة الكاملة، أما البن الذي وزعت بعض أكياسه كهدايا لبعض الأشخاص، والسجاد العجمي والجلود فقد كانت جميعاً بضاعة شبه راکدة أو غير مربحة إلى حد ما، فقد بقيت كميات من هذه السلع الثلاث لم تكن قد سوقت قبيل رحيل (سلطانة) بوقت قصير وكان ذلك في أغسطس فخفضت أسعارها نسبياً إذ بيعت القطعة من السجاد العجمي بما يتراوح بين ٥,٥ و ٧ دولارات بينما بيعت القطعة من الجلد بمبلغ ١,٣ دولاراً، أما البن فقد بيع أول الأمر بسعر ٢٠ سنتاً للرطل ثم بيعت الكمية المتبقية منه بسعر ١٤,٥ سنتاً للرطل، وبذلك بلغت مبيعات بضائع سلطنة ٢٦٩٥٧ دولاراً.



وقامت مؤسسة لفنجستون وباركلاي بعد ذلك بشراء البضائع التي حملتها (سلطنة) في رحلة العودة وتكونت هذه البضائع من ثلاثة مجموعات :

الأولى مجموعة من البضائع للبيع في سوق زنجبار ، وهي من البضائع التي كانت تخضع للإتفاقية بين السيد سعيد وجيرام سيوجي للقيام بتسويقها ، فكان يجب أن تأتي من خلال هذه المؤسسة المشار إليها ، نظراً لأن نسبة من أرباحها كانت تدخل خزانة السيد سعيد الشخصية ، وتتضمن هذه المجموعة من بين أصنافها : ١٢٥ بالة من القماش الرمادي اللون الذي يعرف في زنجبار باسم (مريكاني) وقد اشترت بسعر يتراوح بين ٦ و ٨,٥ سنتاً للياردة المربعة.

و ٢٤ مقطّعاً من القماش القرمزي اللون بسعر ٨٧,٥ سنتاً للياردة المربعة للنوع العادي و ١,٢ دولاراً للياردة المربعة من النوع الممتاز و ١٣ كيساً من الخرز الأحمر والأبيض والأزرق بسعر دولار واحد للرطل ، و ٢٠ دسته من لوحات الطباعة بسعر يتراوح بين ١,٠٥ دولاراً و ٤,٥ دولاراً للدسته و ٣٠٠ بندقية من النوع التقليدي بسعر ٣,٤٣ دولاراً و ٢٥ كيساً من البارود بسعر ٢,٧٥ دولاراً للكيس وكمية من الأطباق الخزفية يتراوح سعر الدسته منها بين ٢٦,٥ سنتاً ودولارين ، وبلغت جملة هذه المشتريات ١١١٧٧,٥٦ دولاراً.

أما المجموعة الثانية من البضائع فهي أصناف تم اختيارها خصيصاً للسيد سعيد ونجله السيد خالد لإستعمالهما الشخصي ، فللسيد سعيد اشترت أربعة بنادق مزخرفة تكلفت الواحدة نحو ٧٠ دولاراً ، وكمية كبيرة من الشمع وعدة صناديق من خيوط الذهب و ٢٠ رزمة ورق

للكتاب، وخمسين صندوقاً من السكر المكرر ، وصندوقين من آنية الزهور ،
وصندوق من زجاجات العطور ، وعشر علب موسيقية ، وبعض الصابون
الأحمر ، وكمية مختارة من الزجاج الخاص وأطباق الخزف والمرايا ، هذا
بالإضافة إلى عدد من صناديق الحلوى واللوز وشراب الأناس والبرتقال ،
وكيس من الفواكه المسكرة ، وقد بلغت قيمة هذه المشتريات الخاصة
بالسيد سعيد ٣٦٨١,٢٥ دولاراً.

أما المشتريات الخاصة بالسيد خالد فقد كانت أكثر تواضعاً واشتملت
على بعض المرايا والشمعدانات والزجاج واللمبات وبلغت قيمتها فقط
٥٠٥,٨ دولاراً.

وكانت المجموعة الثالثة من المشتريات تمثل بعض المرايا التي اشترت
لسعيد بن خلفان وبعض تجار زنجبار الآخرين السابق ذكرهم ، ولما كانت
قيمة البضائع الخاصة بهؤلاء التجار مما حملته سلطانه غير كافية لدفع أثمان
هذه السلع المشتراه لهم نقداً ، إقترض أحمد ٤٧٣,٢٧ دولاراً لتغطية الفرق .

وبلغ الفرق بين المبيعات والمشتريات من البضائع والهدايا والسلع
الخاصة ٤٠٠٠ دولاراً هي صافي المكسب من المرحلة الأولى للرحلة
أخذها أحمد معه على شكل نقود فضية وخاصة من الدولارات الإسبانية
التي كانت تعرف في ذلك الوقت بالريالات المغربية ، وكانت هي والقطع
ذات الخمسة فرنكات هي النقود الفضية التي تمثل غطاء النقود الأمريكية
وقد سدد عنها مبلغ ١١٦ دولاراً كر سوم إستبدال ، واشترت خزنة خاصة
لحملها فيها .

أما عن مصروفات الرحلة التي أنفقت بموجب إيصالات ، فقد كانت
عالية نسبياً وبلغت جملتها ٢٢٣٨,٢٩ دولاراً تشمل مصاريف الحمالين

والوزن والتعبئة وغيرها من نفقات تفريغ البضائع التي أتت بها السفينة ، وتشتمل أيضاً هذه المصروفات على العمولة التي حصلت عليها مؤسسة باركلي ولفنجستون ، وقد زعم سكوفيل فيما بعد أن مؤسسة باركلي ولفنجستون المنافسة قد ربحت ما بين خمسة أو ستة آلاف دولار من عملية بيع بضائع السلطانة.

وبالطبع فإن هذا الإدعاء ما هو إلا مجرد زعم مرفوض طبقاً لما ورد في كشوف حساب أحمد التي تظهر فيها العمولة التي سددت للمؤسسة نحو ١١٧٥ دولاراً ، وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك قائمة طويلة تشتمل على مصروفات السفينة ، وأجر الحراس والدمغات المقدمة على حساب مرتبات الطاقم والمبالغ الباهظة التي كان يدفعها سليمان كنفقات للطعام وغيرها مما كان يلزم دفعه.

وقيل مغادرة السفينة السلطانة بوقت قليل استطاع باركلي بإعتباره وكيلاً لمؤسسة لويدز اللندنية أن يقنع أحمد بشراء بوليصة تأمين بحرية على السفينة لرحلة عودتها ، وهو عمل لم يكن السيد سعيد قد ألفه من قبل ، وبذلك بلغت جملة المصروفات المختلفة للسفينة ٣٠٦٢,٧٦ دولاراً . ومما يثير السخرية هو أن بعض هذه المصروفات كانت من نوع الخدمات التي أصر التجار الأمريكيون على استبعادها وفقاً للمعاهدة الموقعة بين الولايات المتحدة وعمان عام ١٨٣٣م مثل رسوم الإرشاد داخل الميناء ورسوم الوزن وغيرها مما لم تعف منه السفينة السلطانة في ميناء نيويورك .

ولعل إعطاء ملخص لكشف الحساب الذي أعده أحمد يكون وسيلة لتوضيح الصورة ، وخاصة فيما يتعلق بالعناصر المختلفة لتكاليف المغامرة.



وعلى أي الأحوال يبدو أن أحمد وكذلك السيد سعيد كانا راضين عما تم ، وقد استمر السيد سعيد على علاقته التجارية مع تلك المؤسسة - مؤسسة باركلي ولفنجستون وبخاصة بالنسبة لشراء البنادق وقطع غيارها.



(٦)

مسألة الهدايا

لم تكن المهمة التجارية هي الشيء الوحيد الذي كان يضطلع به أحمد في رحلته على السلطنة إلى نيويورك ، بل كانت هناك مهام أخرى استكمالا لمهمته التجارية ، فقد كان مكلفاً بالقيام بمهمة المبعوث الرسمي أثناء تواجده بالولايات المتحدة ، وتتضمن هذه المهمة الرسمية تسليم رسالتين من السيد سعيد إلى الرئيس الأمريكي فإن يورين مؤرختين ٢٥ ديسمبر ١٨٣٩ م ، وقد تولى سعيد بن خلفان ترجمة وكتابة الخطابين باللغة الإنجليزية ، ويعبر الخطاب الأول عن مشاعر الصداقة والمودة التي يحملها السيد سعيد للرئيس والشعب الأمريكي ، والثاني هو الرسالة التي صحت الهدايا المرسلة إلى الرئيس ولو أن السيد سعيد تذكر أن روبرتس سبق أن رفض حمل الهدايا للرئيس الأمريكي لما فكر في إرسالها .

واشتملت هذه الهدايا على فرسين من فرسان السباق النجدية وعقد من اللؤلؤ ، وحبطين كبيرتين من اللؤلؤ ، الواحدة منها في حجم وشكل الكمثرى الكبيرة ، وحوالي ١٢٠ قطعة من الأحجار الكريمة الملونة يبلغ وزنها ١٨,٢٥ قيراطاً ، وسبيكة من الذهب الخالص وسجادة حريرية فارسية الصنع ، وزجاجة من عطر الورد ، وبعض ماء الورد ، وست عباءات كشميرية مطرزة وسيف مرصع بالذهب .

وبناء على طلب أحمد قامت مؤسسة باركلي ولفنجسون نيابة عن أحمد بتسليم خطابي السيد سعيد إلى الرئيس في ٢ مايو ، وانتظرت تلقي التعليمات الخاصة بتسليم الهدايا ، وبعد ثلاثة أيام كتبت المؤسسة خطاباً ثانياً إلى الرئيس تذكر فيه أن أحمد سوف يضطر إلى العودة بالهدايا إذا لم يقبل الرئيس تسلمها بنفسه .



وفي تلك الأثناء كان الفرسان النجديان قد أخذوا إلى حظائر تترسال في برودواي حيث لقيا إعجاباً شديداً من كل من شاهدهما هناك.

وفي ٥ مايو أرسل جيسي هوايت رجل الجمارك المسئول عن ميناء نيويورك وكان معروفاً بأنه نفعي وانتهازي إلى الرئيس يخبره فيه بوصول السفينة السلطنة والهدايا القيمة التي أرسلها سلطان عُمان بشيء من النفاق، ويهنئه فيه على ذلك، ووصف في خطابه الحصانين، وتساءل عن كيفية التصرف فيهما، وقال غامزاً أن شميث تومسون قد يحتاج إليهما في مزرعته، ثم عاود الغمز قائلاً: أعتقد أن الرئيس لا يمكن أن يسمح بذلك وكان على حق إذ أن الهدايا في عرف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تعطى لأي من الإداريين.

ولقد أحال البيت الأبيض هذه المراسلات إلى وزارة الدولة، وفي ٧ مايو كتب جون فورسيت إلى باركلي ولفنجستون مشيراً إلى أن الرئيس ممنوع من قبول الهدايا الشخصية، ولذا فإنه يطلب من أحمد أن يفهم الأمر ويقدر الموقف ويسمح بالتصرف في الهدايا بطريقة أخرى تتفق مع رغبة سيده السلطان، وأضاف أن الرئيس يود معرفة موعد مغادرة السلطنة حتى يكتب بنفسه رداً إلى صديقه السيد سعيد.

وبعد ثلاثة أيام أي في ١٠ مايو سلم سكرتير الدولة فورسيت خطاب الرئيس الأمريكي إلى السيد سعيد، وجاء في الخطاب قوله (لقد كان من دواعي السرور والرضى أن يقوم بين عُمان والولايات المتحدة ما نوده دائماً من صلات مفيدة في مجالات متعددة).

وأضاف الرئيس الأمريكي في خطابه: «إن وصول سفينة تحمل علم سلطانكم ودخولها ميناء نيويورك لشاهد على الرغبة في إقامة هذه العلاقات التي نود أن تستمر بين بلدنا وتدوم...». وجاء في الخطاب أيضاً إشارة إلى



سُلْطَانَةُ فِي نِيُيُورُوكْ

أن الرئيس بإعتباره موظفاً مدنياً في الدولة لا يستطيع أن يقبل الهدايا القيمة وأعرب عن تمنياته الطيبة بالصحة والسعادة لجلالة السلطان ، والقوة والمنعة لحكومة عُمان والسعادة والاستقرار لشعبها.

وعلى الرغم من اللهجة الشديدة التي عبر بها أحمد عن موقفه بالنسبة للهدايا فقد أدرك مؤخراً أنه لا يمكن عملياً أن يعود بالهدايا إلى زنجبار وبخاصة الخيول ، ولذا فقد كتب ثانية الى سكرتير الدولة فورسيت في ١٤ مايو عن طريق باركلي ولفنجستون يذكر أنه سوف يقدم خطاب الرئيس إلى السيد سعيد عند العودة ، وأوضح في خطابه أن السيد سعيد لم يكن على علم بالصعاب المتعلقة بقبول الهدايا ، وأضاف في خطابه أنه يشعر بثقة كاملة في أنه يكون قد نفذ أوامر الإمام إذا ما اعتبرت الهدايا مقدمة إلى حكومة الولايات المتحدة ، وطلب إلى الرئيس أن يتفضل باتخاذ اللازم نحو قبولها على هذا النحو .

وبإرسال هذا الخطاب أصبح أحمد في الجانب السليم فقد قدم النصيحة وأصبح يأمل أن يسمح له بتسليم الهدايا لممثل الحكومة الذي سيعين لذلك . وهنا وضع الرئيس الأمريكي في موقف حرج بالنسبة لموضوع الهدايا وكيف يمكن التصرف فيها ، خاصة وأن عنصراً آخر هاماً قد أضيف إلى المشكلة ، وهو أن ملك مراكش كان قد أرسل أسدين هدية للرئيس الأمريكي ، وكان من المتوقع وصول السفينة التي تحمل تلك الهدايا إلى ميناء نيويورك يوم ٢١ مايو .

هنا وجد الرئيس الحل في إحالة كل المراسلات إلى الكونجرس مقترحاً ، أن يصدر تشريعاً خاصاً بذلك ينص على الطريقة التي يمكن بها للموظف التنفيذي أو عضو الهيئة التنفيذية أن يواجه بها مثل هذه الأمور في المستقبل في حالة إذا ما قدمت إحدى الدول الأجنبية هدايا للحكومة أو لأحد من



أعضاء هيئاتها التشريعية أو التنفيذية ، أو إلى ممثلي الحكومة في الخارج دون أن يؤدي الرفض إلى الوقوع في الحرج السياسي .

ولقد كانت هناك سوابق مماثلة ، ولكن بالنسبة لهدايا مقدمة لموظفين تنفيذيين أقل درجة ، ولو أن الكونجرس تردد كثيراً في إصدار تشريعات تتعلق بهذا الأمر إلا أنه قد قرر في سابقة مماثلة عام ١٨٣٥م أن تباع الهدايا بالميزاد العلني ، وكانت تلك الهدايا هي عدد من الخيول كان قد قدمها ملك مراكش للقنصل الأمريكي في طنجة ، وكانت الخطوة التالية هي إيداع ثمنها في الخزانة إلا أن الموقف بالنسبة للهدايا المقدمة للرئيس ، ظل دون أن يستقر عليه رأي .

قدم جونسون نائب الرئيس الرسالة إلى مجلس الشيوخ في ٢٥ مايو ١٨٤٠م ، وحول مجلس الشيوخ الموضوع فوراً إلى لجنة العلاقات الخارجية لبحثه ، وبعد أيام قلائل أعلن السناتور جيمس بيوكانان ممثل بنسلفانيا ورئيس لجنة العلاقات الخارجية حلاً بسيطاً للغاية ، يخول للرئيس قبول الهدايا على أن يسلمها أو يسلم ثمنها للخزانة بعد بيعها ، وطلب مجلس الشيوخ في أول يولييه بعد إقرار التوصية أن تعرض على مجلس النواب لإقرارها .

على أن مرور القرار في مجلس النواب كان أمراً مشيراً للعواصف من المعارضة والنقاش الطويل ، وكان المجلس قد أحال المكاتبات جميعاً إلى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب لدراستها ووضعت هذه اللجنة أمامها قرار مجلس الشيوخ بعد بدء عملها بأيام ، ثم خرجت في ٩ يونيو بإقتراح معدل ألغيت منه عبارة إيداع القيمة النقدية في الخزانة واستبدلت بذلك إقتراح لتوزيع الهدايا على النحو التالي : فالسيف يودع في وزارة الدولة ، أما حصيلة بيع بقية الهدايا فتقسم بين المؤسستين الخيرييتين اللتين كانتا تعملان في نيويورك في ذلك الوقت .



جاءت هذه المقترحات كمحاولة لتجنب الدخول في خلاف دستوري يتمثل في موضوع إيداع أموال من غير حصيلة الضرائب في خزانة الدولة. وأصبح من المتوقع بهذا أن تتم الموافقة على هذه التوصيات المعدلة ودخل في الموضوع خصم جديد معارض لم يكن في الحسبان هو (جون آدمز) الرئيس السابق الذي كان يمثل دائرة ماساشوستس وكان يبلغ من السن ٤٧ عاماً ويعاني من كسر في عظام الكتف ، وقف بمجرد أن بدأ رئيس المجلس طرح الموضوع للمناقشة وقاطعه طالباً الكلمة ، وقال : إنه لم يسبق للكونجرس أن وافق على السماح بقبول مثل هذه الهدايا من الدول أو القوى الأجنبية ، ثم ذكر أن توماس بيكلي قد منع من قبول الهدايا عام ١٧٩٨م حينما كان يقوم بالتفاوض مع أسبانيا ، وطالب بعدم الموافقة على القرار ، وقد أدى ذلك إلى إعادة الموضوع إلى لجنة العلاقات الخارجية.

ومضى شهر كامل ، قام مؤيدو القرار أثناءه برسم استراتيجيتهم فطالب آدمز أن يعيد النظر في إعتراضه ، ورغم أنه كان من أشد المعارضين لحكم فان يورين فان اعتراضاته لم تكن من قبيل المعارضة ولكن كان همه في هذه الواقعة يتجه كلياً إلى اعتقاده في أن مرور مثل هذا القرار بقبول الهدايا قد يكون سابقة سيئة يستمر على أساسها قبول الهدايا . وفي محاولة للتماشي مع هذا الرأي اقترحت اللجنة في ٧ يوليو صياغة جديدة بحيث لا تشمل على عبارة قبول الهدايا ولكن عبارة (تسليم الهدايا) وظل آدمز لمدة ثلاثة أيام من ٧ يوليو إلى ٩ يوليو متمسكاً بمعارضته حتى كاد الأشتباك ينشب بين الأعضاء بسبب هدايا السيد سعيد.

ولقد تصدى مؤيدو مشروع القرار بقيادة عضو الكونجرس عن دائرة كارولينا الجنوبية فرنسيس بيكنز ، الذي ذكر أن آدمز قد بالغ بصورة غير مقبولة في مفهوم الهدايا ، وقال : إننا جميعاً متفقون على منع أي عضو



في الهيئة التنفيذية أو الحكومية من قبول هدايا من الدول الأجنبية ، غير أن الهدايا في مثل هذه الحالة التي بين أيدينا لم يقصد بها إلا إظهار الاحترام والتعبير عن الصداقة وحسن النية تجاه حكومة الولايات المتحدة وشعبها، وإن كرم السيد سعيد وشهامته التي عرفناها في موقفه من الحادث الأليم الذي حدث للسفينة بيكوك لا يمكن أن يقابل بتصرف ينم عن الجحود برفض هداياه وذكر مؤيدو القرار أيضاً أن هناك سابقة الكونجرس الأمريكي في محاولة لمعالجة موقف مماثل وهي التصريح للرئيس بقبول ميدالية من رئيس جمهورية كولومبيا.

رفض المعارضون بقيادة آدمز هذا الرأي الأخير بحجة أن المجلس لم يسبق له أن سمح لأي من أعضاء الهيئة التنفيذية بقبول هدايا من دول أجنبية وذكر أنه في الفترة من عام ١٧٩٨م إلى عام ١٨٣٤م كان هناك رفضاً باتاً لقبول مثل هذه الهدايا وأن سابقة ميدالية كولومبيا لا يمكن إعتبارها سابقة لمثل هذا الموضوع ، وأن السماح بقبول الهدايا سوف يوجد سابقة غير مرغوب فيها ، كما أن بيع الهدايا ، في نفس الوقت دون إعلان قبولها يعد تصرفاً غير أخلاقي ، ومثل هذا التصرف قد يؤدي إلى إثارة غضب السيد سعيد بدرجة أكبر .

وفي الثامن من يولييه نجح مؤيدو آدمز من خلال مناورة برلمانية في إسقاط الإقتراح ، وقد تهلل آدمز ورفاقه ، وأعلن آدمز أن مجلس النواب سوف يغير اتجاهه قريباً ، وكان توقعه صحيحاً ، وذلك هو ما حدث في مجلس الشيوخ حتى قبل إبلاغه بإسقاط الإقتراح ، إذ استطاع ناتان كليفورد عضو الكونجرس عن دائرة ماين أن يسترد القرار من كاتب المجلس ، لكي يعيد إثارته في الاجتماعات ، ولما لم يستطع كاتب المجلس أن يرسل الموضوع



مستكملاً إلى مجلس الشيوخ من فوره طبقاً للوائح المعمول بها في البرلمان الأمريكي فإن التصرف هو أن يوضع الكاتب تحت المراقبة.

وباستخدام كل وسائل المناورات البرلمانية لتهدئة الموقف والمناقشات، قبل آدمز ما لم يكن يقبله من قبل، وهو إصدار القرار بعد إعادة تعديله بإيداع حصيلة بيع الهدايا في خزانة الدولة ثم في نهاية الأمر عدل بحيث لا يمس أحداً بصياغته على أنه قرار مشترك من المجلسين من أجل زيادة إيرادات الخزانة عن طريق بيع الهدايا التي قدمت للولايات المتحدة من إمام زنجبار وملك مراکش، وهكذا هزم أصحاب الرأي بقبول الهدايا وقبل هذا التعديل الذي أدخله مجلس الشيوخ ووقعه الرئيس في ٢٠ يولييه.

ويبدو أن أحمد لم يتفهم التعقيدات التي صحبت مناقشة موضوع الهدايا التي أحضرها، إلا أنها على كل الأحوال لم تؤخذ على أنها نوع من عدم الإحترام أو سوء التقدير للسيد سعيد، بل على عكس ذلك فإنه في خلال المناقشات على سبيل المثال اقترح هوارس افريت عضو الكونجرس عن دائرة فرمونت أن تؤخذ على أنها تعويض عن إصلاح السفينة (السلطانة) على نفقة الولايات المتحدة مع تقديم هدايا مقابلة للسيد سعيد الذي وصفه في كلمته (بالأمير ذي العقل الراجح).

ومثال آخر ما أعلنه ألكسندر دانكان عضو الكونجرس عن دائرة أوهايو في إجتماع ٢١ يولييه من أنه سوف يقدم في الجلسة التالية إقتراحاً بأن يخول الرئيس الأمريكي سلطة إهداء حاكم مسقط مركباً شراعياً حربياً ذا شراع واحد، ولئن لم يوجد ما يشير إلى تقديم مثل هذا الإقتراح، إلا أن الفكرة في حد ذاتها كانت تنم عن الإحترام البالغ، والتقدير الذي اكتسبه السيد سعيد في أوساط الأمريكيين.



وبناءً على القرار أصبح من الممكن أن تتسلم حكومة الولايات المتحدة الهدايا وأخذت إلى واشنطن حيث أودعت معظمها في مبنى وزارة الدولة ، ثم نقلت إلى مكتب براءات الاختراع القديم حيث عملت الترتيبات اللازمة لبيعها بالمزاد العلني في صالة ذلك المكتب في يوم ٤ أغسطس ١٨٤٠ م.

وكانت الخيول تنقل كل يوم إلى أرض السباق لعرضها على الراغبين في شرائها لتحسين نسل الخيول الأمريكية ، وتم البيع بمعرفة خبير المزايدات المشهور إدوارد دواير في اليوم المحدد ، وقد بيع الحصان الرمادي الفاتح بمبلغ ٦٥٠ دولارا واشتراه ل.م. بويل الفرجينى ، وبيع الآخر الغامق اللون بمبلغ ٦٧٥ دولارا واشتراه الجنرال جون إيتون من ننسى وكان مشهوراً باسم بيجي ايتون ، وكان هذا الاسم قد أطلقه عليه رئيس أسبانيا حينما كان يشغل منصب وزير في الولايات المتحدة ، وبعد خصم حساب خبير المزايدات والتكاليف الأخرى أودع في الخزانة مبلغ ٩٩٣,٢٨ دولاراً كحصوله بيع الهدايا.



(٧)

الاستعداد للعودة

مضى شهر يونيه ومضت أيام من شهر يوليه وقاربت مهمة أحمد على الإنتهاء ، وكذلك كاد العمل في إصلاح (السلطنة) ينتهي وأصبح من الممكن لأحمد أن يعد خطته لرحلة العودة ، وكانت الرحلة تحتاج قبل كل شيء إلى ربان جديد إذ لم تكن علاقة أحمد بسليمان على ما يرام ، بل إن تلك العلاقة قد ساءت منذ وصول السفينة إلى نيويورك نتيجة لتصرفات سليمان بالنسبة للبحارين اللذين كانا من أصل فرنسي فقد اختلف معهما ، وقرر تخفيض رتبتهما ثم فصلهما من العمل أخيراً دون الرجوع إلى أحمد أو استشارته .

وفضلاً عن ذلك فقد كان طاقم السفينة لا يكن لسليمان أي إحترام فأصبحت رحلة العودة مستحيلة تحت رئاسته لما قد يسببه من مشكلات .

وذكرت صحيفة الهيرالد أن أحمد كان يصف سليمان بأنه رجل سيء ، ويود التخلص منه ، وأنه شغوف بأن يتخذ للسفينة قبطاناً أمريكياً ليقود السفينة أثناء رحلة العودة . وبعد أيام قلائل ترك سليمان خدمة السفينة وغادرها إلى لندن بعد أن حصل على مبلغ مقدم من مرتباته لتغطية نفقات رحلته .

اتصل أحمد عن طريق باركلي ولفنجستون بالكابتن ساندوتش دونكر الذي كان يقطن في ١٠١ نورث ستريت بفيلا ديلفيا في محاولة لتكليفه بمهمة قيادة السفينة في رحلة العودة ، وكان دونكر هذا شاباً في الثانية والثلاثين من عمره ، ورغم هذا السن الصغير كان حتى ذلك الوقت قد سجل أعمالاً بحرية ممتازة آخرها أنه قد عاد منذ شهور قلائل من رحلة بحرية طويلة ، وأخبر عند عودته من هذه الرحلة أن السيد سعيد يود إقامة علاقات منتظمة



مع نيو يورك وقد كان السيد سعيد يأمل في أن يضع إحدى سفنه الكبيرة حمولة ٦٠٠ طن تحت تصرفه على أن يقودها درنكر على خط تجارة دائم مع نيو يورك.

كان العرض المقدم من السيد سعيد للكابتن درنكر عرضاً مغرياً خاصة وأن درنكر كان قد تزوج حديثاً وأصبح في حاجة إلى مزيد من المال لإعالة أسرته ، فقبل العرض بقيادة (السلطنة) في رحلة العودة.

ورغم أن الإصلاحات التي كانت جارية في السفينة لم تكن قد انتهت بعد فإن القاطرة البحرية التجارية المسماة روفوس كنج قامت بناء على الأوامر الصادرة لها بقطر (السلطنة) من حوض البحرية إلى حوض آخر في مجرى النهر الشمالي على بعد قليل من رصيف ركتور ستريت ، وهنا حدث أن فر سبعة من طاقم السفينة يقال أنهم من الرقيق الذين كانوا قد تأثروا بنشاط القائمين بحركات تحرير الرقيق في أمريكا ، وكان المعتقد أنهم اختبأوا في مكان ما بالمدينة ، ولم يمكن العثور إلا على واحد منهم فقط ، ومن الغريب ان الصحف المنادية بتحرير العبيد في نيو يورك تجاهلت السفينة السلطنة تماماً رغم العدد الكبير الذي كان على ظهر السفينة من الزنوج الافريقيين وليس من شك في أن أخبار المعاملة السيئة لطاقم السفينة قد تسربت من جانب بعض المؤيدين لحركة تحرير الرقيق في الميناء.

وربما كان تجاهل مسألة الرقيق على السفينة (السلطنة) يرجع إلى طغيان أخبار السفينة (سارة آن) التي أرغمت على الاتجاه إلى ميناء نيو يورك قبل وصول السلطنة بأيام قلائل نتيجة لإتهامها بنقل الرقيق.

ومهما يكن من أمر فإن فرار عدد من طاقم (السلطنة) قد أدى إلى إتخاذ مزيد من الاحتياطات لكي لا يتكرر الهروب خاصة وقد اقترب موعد رحيل السفينة فعين إثنان من رجال البوليس مرة أخرى لحراسة

السفينة منذ ٥ أغسطس لمراقبة تحركات الطاقم غير أنه في يوم الرحيل نفسه وبمجرد أن غادر رجلا البوليس السفينة قفز إثنان من البحارة من على ظهر السفينة إلى الماء ولكن البوليس أعادهما تنفيذاً لقرار منع أي عملية فرار من سفن الدول الصديقة التي تتعامل مع الولايات المتحدة على أساس من إتفاقية مصدق عليها.

وبإقتراب يوم مغادرة (السلطنة) لميناء نيويورك عاود الرأي العام الحديث حول موضوع الهدايا التي يجب أن يرسلها الرئيس الأمريكي إلى السيد سعيد ، وكانت جميع المحاولات بالحصول على موافقة الكونجرس على اتفاق خمسة آلاف دولار لإصلاح السفينة وإرسال الهدايا قد فشلت، ولكن المبلغ دبر في النهاية بطريقة غير معلنة وربما كان المصدر هو وفورات ميزانية الوزارة البحرية التي استطاعت الخزانة في هذه الظروف الخاصة أن تنقله إلى اعتمادات أخرى تتصل بنفس البند.

ومما أثار الدهشة أكثر أن زورق نزهة طوله ٣١ قدماً وعرضه ٤ أقدام و ٨ بوصات وعمقه ٢١ بوصة ، صنع خصيصاً بمعرفة الإخوة كريدليوس في نيويورك بناءً على أمر شخصي من ج. س. لفنجستون وكيل البحرية، وقد عرض هذا الزورق في وول ستريت يوم ٧ يوليو ، وكان حسب ما وصفه المشاهدون مصنوعاً بدقة متناهية من أرق أنواع خشب السدر ، وقد طليت جوانبه بأحسن أنواع الطلاء، وكانت إطارات فتحات المدافع وحاملات المجاديف وذراع الدفة وقاعدتها ، وحاملات المظلة جميعاً مغطاة بمعدن فضي لامع.

أما أرضية الزورق فقد غطيت ببساط أحمر قاني : وكانت المظلة مركبة بحيث تغطي كل أجزاء الزورق ومصنوعة من قماش كتاني محاط من أطرافه بحريز أزرق وفوق المقاعد وضعت وسادات من الساتان الأبيض ، وكانت الحبال كذلك مصنوعة من خيوط حريرية زرقاء.



وقد قيل ، إن هذا القارب قد تكلف ألفي دولار ، وكان الإعجاب به شديداً حتى إن جريدة الإخوة جوناثان قالت في تهكم (لعله أفخم وأفخر قارب) ، ولشحن القارب مع السلطنة عمل له خصيصاً صندوقاً معدنياً من الصفيح لربطه بالسفينة فيمنع عنه الصدأ وتسرب الماء إليه .

ولما كان يعرف عن ولع السيد سعيد بالأسلحة فقد أمر الرئيس الأمريكي أن يكون من بين الهدايا المرسلة إليه مجموعة من الأسلحة النارية ، وبناءً عليه فقد قام محل كلوب لبيع الأسلحة الكائن في ١٥٥ برو دواي بتسليم أربعة مسدسات فخمة من الموجني ، لكل منها خزان يحمل خمس رصاصات وكان طول ماسورة المسدس ثمانية بوصات وجسمها مطعم بالأصداف ، أما البنادق فكانت من خشب الموجني السوداء ، وقد نقش على الأسلحة وعلى أغطيتها أيضاً باللغة العربية عبارة (هدية من رئيس الولايات المتحدة إلى إمام مسقط) وأرسلت مع هذه الأسلحة مجموعة من قطع الغيار المختلفة والذخيرة اللازمة .

وأكملت هدية الرئيس الأمريكي مرآتان ثمينتان ، وبعض الشمعدانات المزخرفة الفاخرة وكانت قد اشترت في محل اندرود الكائن في ١٨٦ فلتون ستريت وهو معروف بتحفه الثمينة الغالية ، وكانت المرأة من أكبر حجم صنع في الولايات المتحدة ، طولها مائة بوصة وعرضها ٧٢ بوصة ، وهي تناسب قصور السيد سعيد .

وبالإضافة إلى هذه الهدايا وصلت للسيد سعيد بعض الهدايا الشخصية من الأمريكيين وبعض الهبات : مثل جمعية الكتاب المقدس في نيويورك فقد قدمت ترجمة عربية من الكتاب المقدس إلى السيد سعيد (وكان قد تلقى نسخة من قبل من الكابتن أوين عام ١٨٢٤م قبيل أن تحدث حادثة مباسة) وأعطيت أيضاً نسخة شخصية لأحمد كما أرسل محل الأدوية



المشهور أوستن تشيرمان الكائن في ١٠٦ ناساو ستريت صندوقاً معدنياً كبيراً مملوءاً بخمسين علبة من إنتاجه المشهور من أنواع الحلوى الطبية المعروفة ، وكان ذلك من قبيل الدعاية لإنتاجها ، ومن هذه الأنواع ما هو ضد ديدان البطن والصداع والحموضة ونزلات البرد وغيرها . وقد علقت صحيفة الإخوة جوناثان على هذه الهدية بقولها : (إذا لم تؤد هذه إلى إنعاش جلالته فإنه يكون في غير حاجة إليها أو أنه يكون قد شفى من كل الأمراض قبل استعمالها).

ولقد بدأت الترتيبات النهائية لإبحار السفينة (السلطانة) في رحلة العودة ، وفي اليوم الخامس والعشرين ربط فيها الصندوق الذي يحتوي على القارب ، وبدأ تحميل البضاعة بعد ذلك ببضعة أيام ، غير أنه حدث في يوم ٣ أغسطس ما لم يكن في الحسبان ، إذ هبت عاصفة عاتية وصفتها الهيرالد بأنه لم يسبق أن شهدت نيويورك مثلاً أبداً ، ولا يذكر أقدم السكان في هذه المنطقة أن سبق حدوث مثلاً في حياتهم.

استمرت الرياح والرعد والبرق لمدة عشر ساعات متصلة دون انقطاع أو توقف ، وفي الساعة السادسة مساءً سقطت صاعقة فوق السفينة فهزت جسم السفينة وصواري المؤخرة هزاً عنيفاً ومرت منها عبر المؤخرة فكسرت الطرف المرتفع فيها وانتهت إلى الصندوق المعدني الذي وضع فيه القارب فشقتة نصفين ، وأصيب في هذا الحادث محمد عبدالله الضابط الأول وإثنان أو ثلاثة من البحارة ، ولكن كانت إصاباتهم غير خطيرة ، ولحسن الحظ لم يكن البارود قد حمل على ظهر السفينة بعد وإلا لأدى إلى كارثة انفجار ضخمة.

وقد تأثرت بالعاصفة أكثر من اثنتي عشر سفينة كانت راسية في الميناء كما أن الكثير من المباني بما فيها كنيسة سانت بول قد أصيبت بالدمار نتيجة للعاصفة.



ولما علم عميد البحرية رانشو بالحادث أرسل من فوره مجموعة من الرجال من البحرية للمساعدة في إصلاح الدمار ، وبمساعدهتهم أمكن للسفينة أن تعود إلى حالتها وتصبح معدة للرحيل خلال يومين .

وفي السابع من أغسطس أتمت السلطنة الإجراءات الجمركية للإبحار إلى مسقط ونجبار ، وكان بحارتها قد انخفضوا إلى ٧٤ بحاراً من بينهم أربعة أمريكيين لم تذكر أسمائهم ، كان درنكر قد عينهم لملء الوظائف التي شغرت نتيجة لمغادرة بعض البحارة ، وكان هناك مسافر هام سيصحب الرحلة هو وليم روترز شقيق القنصل ووترز وكان يطلق عليه أستاذ الدين .

وبعد يومين وفي صبيحة التاسع من أغسطس قام القارب البخاري هر كيولس بقطر السلطنة خارج الميناء إلى اللسان الرملي ، وكان أحمد بعقليته الإقتصادية قد عارض في أن تقطر السفينة ما دامت هناك ريح غربية منتظمة لتوفير تكاليف القطر البالغة ٦٢ دولاراً ولكن درنكر أوضح له أن السفينة لا يمكن أن تخرج من الميناء دون قطر .

وخارج منطقة الحجر الصحي مرت (السلطنة) بالسفينة التجارية الضخمة جريت وسترن التي كانت تعتبر مفخرة الأسطول الذي يعبر الأطلسي ، وأطلقت السلطنة ثلاثة صفارات تحية لملكة البحار ، وردت جريت وسترن على التحية بمثلها ، وبدأت رحلة العودة .



فِي رَحْلَةِ الْعُودَةِ

قام درنكر بكتابة مذكرات عن الأحداث اليومية وعن خواطره طوال الرحلة ، ومن هذه المذكرات توجد نسخة محفوظة لدى أسرة درنكر ، وتعتبر هذه المذكرات من السجلات ذات القيمة الكبيرة التي تعطي صورة عن الحياة على ظهر السفينة ولعل قيمتها تزيد أكثر حينما يأتي اليوم الذي تنشر فيه ، وتعتمد هذه الدراسة على مذكرات درنكر في كثير من أجزائها. كان درنكر قد وضع خطة الإبحار بحيث يتجه بالسفينة إتجاهاً شرقياً مباشراً لأقصى مدى يمكن ان تبلغه قبل أن ينحرف بها شمالاً بشرق مع اتجاه الرياح التي تسود في المنطقة المحصورة بين خطى عرض ١٢ و ٢٨ درجة شمالاً . ولكن واجهت (السلطنة) متاعب جوية كبيرة أكثر بكثير مما كان منتظراً إذ تعاقبت فترات من الرهو (أو السكون الشديد في الرياح) مع هبات عاصفة مفاجئة من رياح مضادة ، حتى أنه حدث مرتين أن كانت الأشرعة تقتلع من صواريتها لولا سرعة التصرف بتحويل إتجاه الأشرعة إلى الاتجاه المضاد لاستيعاب الرياح العاصفة.

ولقد اجتازت السفينة منطقة الرياح الشمالية الشرقية دون أن تهب أي رياح مساعدة بل إن رياح الجنوب الشرقي كانت تدفع السفينة أكثر في إتجاه الغرب فتبعدها عن الخط المعتاد لطريق رأس الرجاء الصالح.

هذا ولم تلتق (السلطنة) في طريقها بأي سفينة أخرى غير التي قابلتها يوم المغادرة سوى السفينة جون كالين التي كانت قد غادرت كانتون في الصين منذ ١١٧ يوماً متجهة الى نيويورك ، وقد مرت بها (السلطنة في عرض البحر يوم ٩ سبتمبر ، وأرسل لها أحدهم مقداراً من البطاطس والتبغ وجوالاً من التمر تقديراً لحالتها وإدراكاً للرحلة الطويلة التي قطعتها.



وإلى جانب صعوبات الجو يذكر درنكر صعوبة أخرى هي عدم تماس ضباطه ومساعديه للعمل ، وقد كتب يقول : لقد وجدت نفسي أعمل قائداً ومساعداً وكل شيء آخر ، فقد تبين أن أفراد الطاقم غير متحمسين وغير متعاونين ، الأمر الذي أرجعه درنكر لسوء الإدارة التي اعتادوها منذ كان سليمان الإنجليزي ضابطاً أول للسفينة وعاد فذكر أنه قد أمكن استشارة حماس البحارة نتيجة لتصرف حسن اتخذه أحمد ، فقد منحهم يوم الجمعة كإجازة للراحة مما شجعهم على العمل بقية أيام الأسبوع.

على الرغم من ذلك فإن درنكر لم يجزؤ أن يعترف بأن سيطرته على طاقم السفينة كان كاملاً وفعالاً وقد سجل في ٩ سبتمبر يومياته مصوراً حالة طاقمه على النحو التالي:

قضى الضابط الأول محمد عبدالله معظم الوقت وخاصة في الأسابيع الأولى نائماً وكأنه قد تحول إلى جثة هامدة أما ابن نعمة فلم يكن بحاراً محترفاً لذا لم يشأ درنكر أن يتركه وحيداً على ظهر السفينة كان الشخص الوحيد الذي استحق التقدير من جميع الضباط والبحارة هو الضابط الثاني محمد جمعه ، فرغم أنه كان يعاني من ألم في إحدى قدميه نتيجة لإصابته فيها بدودة غينيا ، ورغم أنه كان يضع الضمادات عليها من وقت لآخر ، إلا أنه كان الوحيد الذي كان يتبادل قيادة السفينة مع درنكر طيلة الليالي والأسابيع التي قضتها السلطنة في عرض البحر . وكان درنكر قد عرف عنه الطموح والرغبة في التقدم قبل مغادرتهم نيويورك فأحضر له كتاب بوديتس الملاح العملي والذي أمكنه أن يستوعبه لدرجة جعلته قادراً على أن يعلم البحارة الآخرين مبادئ الملاحة البحرية.

اعتاد درنكر وجمعه أن يقوموا سوياً كل يوم بقياس انحراف الشمس لتحديد خطوط الطول والعرض ، وقد تدرّب جمعه على ذلك حتى أصبح

قادرأ بعد مدة أن يقوم وحده بتحديد موقع السفينة بدقة متناهية ، مما أسعد درنكر كثيراً فكتب معلقاً على ذلك بقوله : (أنه شخص كفء ويتميز بعقلية واعية نادرة مما أسعدني كثيراً).

وأضاف : (إن جمعة في الواقع هو من أحسن الشخصيات التي التقيت بها في حياتي وأصبح له مكانة حب كبيرة عندي).

ولما كان درنكر لا يجد جمعة دائماً في الحالات الجوية السيئة التي يتعرض لها أثناء دوره في القيادة ليرجم له الأوامر إلى الطاقم ، فقد اضطر إلى أن يتعلم أسماء الأشياء المهمة وبعض الأوامر المتعددة بألفاظ اللغات التي يتكلمها أفراد الطاقم ، وهي لغات متعددة ، فإلى جانب العربية يوجد من كان لا يعرف إلا السواحلية أو لغة الحجراني الهندية أو اللغة الملايوية .

ولقد تضايق كل من درنكر ووترز من الحيز المحدود على ظهر السفينة نتيجة لازدحام الممرات ببعض الهدايا التي أرسلها الرئيس الأمريكي للسيد سعيد ، وكانت تشغل حيزاً كبيراً منها حتى أصبح من المتعذر على شاغليها أن يمدوا أذرعهم أو يتحركوا بحرية في داخلها .

أما عن المطبخ فقد كان من أفضل الأشياء في الرحلة وبخاصة في المراحل الأولى منها فالطباخ البرتغالي لويس بقى ضمن الطاقم وانضم إليه في رحلة العودة مساعد تم التعاقد معه في نيويورك هو جون ، وعلق درنكر عنهما بقوله : (إنهما بلا شك طباخان ماهران ، ولقد كنا نود أن نستمتع أكثر بطعامهما لو أنهما كانا ينظفان أيديهما ويستعملان المنديل إذا عطسا).

ويذكر الكابتن درنكر أنه في إحدى المناسبات طلب من جون أن يعد له صحناً خاصاً من حساء الفاصوليا ، وهي من الوجبات التي اعتاد جون أن يقدمها فقط للبحارة العاديين ، فأراد أن يقدم صحن حساء يناسب كبراء القوم للكابتن ، وكتب درنكر معلقاً على طبق الحساء بقوله : (لقد ذكرني



صحن الحساء هذا بصحن يحتوي ماء قد أخذ من حوض الغسيل بعد أن جمعت فيه كل دهن أطباق وجبات عديدة غسلت فيه من قبل).

وفي يوم السبت وكانت العادة أن يذبح خروف أو شاة لتوفير اللحم اللازم للضباط ، وقد تعلم جون كثيراً وتدرّب وعلمه ووترز كيف يصنع الخبز فأصبح بذلك أفضل بكثير مما كان عليه.

وبعضي الأيام والأسابيع أخذ الملل يشيع على ظهر السفينة ، وكانت الصلاة من وسائل القضاء على الملل ، فلقد كان كل من درنكر ووترز من المتمسكين بدينهم ، وكانت وقت الصلاة يوم الأحد وقتاً مقدساً بالنسبة لهما إذا ما سمحت ظروف الملاحة للكابتن درنكر بذلك ، وكان أحمد بالمثل مواظباً على أداء فريضة الصلاة ، واعتاد أن يسأل كل بضعة أيام عن اتجاه القبلة بعد تغيير السفينة لموقعها أو اتجاهها.

وعبرت (السلطانة) خط الاستواء في ٢١ سبتمبر ثم بعد ذلك بتسعة أيام مرت على جزيرة ترنداد غير المسكونة ، وكان على السفينة أن تسير خمسة أسابيع طويلة بعد ذلك حتى تقترب من الأرض ثانية عند رأس الرجاء الصالح ، ووصلت إلى رأس الرجاء الصالح يوم ٣٠ أكتوبر فكتب درنكر معبراً عن الموقف بقوله : (صاح الجميع .. الأرض .. الأرض .. ولم يسبق لي أن سعدت لسماع هذه الصيحة مثلما سعدت بها الآن فقد وصلنا الكاب وكنا نتوق إلى هذا الوصول ، فقد نفذ الماء أو كاد وقل الزاد وقارب على الانتهاء).

بقيت السفينة أسبوعاً في ميناء الكاب تتزود بما تحتاجه من غذاء وماء ولكي يستريح البحارة قبل الرحيل الثاني لمواصلة الرحلة في التاسع من نوفمبر وكان لويس قد هجر السفينة وكان ذلك خيراً لها.

صادف أن كان شهر نوفمبر ذلك العام يقابل شهر رمضان المعظم وقد واظب أحمد وضباطه وجميع البحارة على الصيام بانتظام ، وكان أحمد من



جانبه يعكف على الصلاة وقراءة القرآن وقد ذكر درنكر أن الجميع فضلوا الصيام رغم أن القرآن - كما علم من أحمد - يبيح للمسافر الإفطار، وفي وصفه لمائدة الإفطار قال درنكر: (يقف الخدم حول الجمع المنتظر للطعام حتى إذا ما أطلقت الإشارة بأن الصوم قد انتهى بإخفاء آخر شعاع من الشمس وراء الأفق اندفع الجميع يغرسون أيديهم في الأرز الغني بالدهن). وبمضي الأيام في شهر رمضان بدأ تأثير الصيام يظهر على البحارة الذين كانوا يتكاسلون عن أداء عملهم بدعوى أنهم صائمون وكانوا - كما قال درنكر - يشكون من كونهم مرغمين على العمل في الوقت الذي لا يستطيعون فيه تناول الطعام.

ومما ذكره درنكر أنه قبيل مغادرة السفينة لميناء الكاب استطاع أن يقنع أحمد بشراء خروفين كبيرين ليذبحا يوم عيد الفطر خصيصاً ليأكل منهما كل بحارة السفينة، وقد كان لهذا أثره الكبير على رفع معنويات البحارة خلال المرحلة الأخيرة من الرحلة.

وفي ٢٢ نوفمبر دخلت (السلطنة) خليج موزمبيق، وبعد ذلك بأسبوع كانت تمر على جزيرة موبوتو وهي آخر جزر القمر من جهة الشرق، وأخيراً في ٧ ديسمبر وصلت السفينة إلى جزيرة شومبا التي تبعد ثمانية أميال عن زنجبار ولما كان الوقت متأخراً اتجه ووترز وجمعه سواياً في قارب إلى الشاطئ لدعوة بحار مرشد ليقود السفينة إلى مرساها في زنجبار.

وهنا، وبينما الرحلة في آخر مراحلها وبينما كان البحارة يتلقون الأخبار الطيبة من أهلهم ويقابلون بالترحيب الشديد والفرح الجم، حدث ما لم يكن في الحسبان، قوبلوا بمأساة وفاة محمد جمعة الساعد الأيمن لدرنكر والذي كان عماد السفينة الأول.



وقد ذكر درنكر في مذكراته أنه حينما ترك جمعة وقف عن مقعده وسار متجهاً إلى جانب السفينة ووقف يتأمل في الأفق البعيد ، وفجأة وضع يده على حلقه من ألم فيه وأسلم الروح قبل أن يلحق به أحد وسقط من السفينة وغرق في الحال .

وكانت وفاة جمعة مفاجأة للجميع ، ذلك أن حبه كان يغمر قلوب كل البحارة وكل من على السفينة غير أن أحزان البحارة قد خفت واختلطت بفرحة الوصول وربما لم يحزن أحد عليه ، أو يتأثر بموته مثل ما تأثر درنكر الذي عرف المرحوم محمد جمعة عن قرب ، وأدرك ما يمتاز به على غيره من الرجال وكانت الصداقة بينهما متينة ، وقد ظل درنكر يذكرها طول حياته .

وفي الثامن من ديسمبر وقت الظهر أُلقت (السلطانة) مراسيها في خليج أمتوني أمام قصر السيد سعيد ، وانطلقت من فم أحمد ومن قلبه صيحة منخفضة (الحمد لله) شاكرًا الله على سلامة الوصول ، وصاح الجميع حمداً لله كذلك .

لم يكن السيد سعيد في المدينة عند وصول السلطانة إلى زنجبار ، ولذلك اتجه أحمد ودنكر إلى السيد خالد الذي كان مسئولاً عن حكم الجزيرة في ذلك الوقت للتعبير عن ولائهم وبعد أيام وصل الخبر بأن السيد سعيد في طريق العودة ، ولذا لم تواصل السفينة رحلتها إلى مسقط ، ووصل السيد سعيد يوم ١٦ ديسمبر ، وكانت السفينة التي جاء عليها وتسمى (المحبوبة) قد وصلت بعد رحلة امتدت عشرة أشهر . وتقدم أحمد بالتقرير إلى السيد سعيد عن بعثته التي أتمها ، وقدم له الكابتن درنكر .





(٩)

تقويم الرحلة

هل يمكننا في ضوء أحداث بعثة أحمد أن نقومها؟ .. هذا هو السؤال بعد ذلك العرض التفصيلي لأحداث الرحلة.

فبالنسبة لإقامة اتصالات ودية مع الولايات المتحدة وشعبها ، نجد أن نتائج الرحلة في هذا المجال كانت واقعية وناجحة ، وإن كانت بالنسبة للسيد سعيد غير ذات قيمة كبيرة ، ومن وجهة نظره لم تستغل هذه الصلات على الوجه الأكمل ، إلا أنه من خلال هذه البعثة اكتسب السيد سعيد أجداً جديدة ، وكسب لبلده وضعاً خاصاً فقد أصبح أحد الحكام العرب القلائل الذين عرفوا ، كحقيقة واقعة لدى الشعب الأمريكي.

ولقد واصل السيد سعيد محاولاته لدعم العلاقات مع الولايات المتحدة ، فأرسل في عام ١٨٤٤م بعض الهدايا إلى الرئيس الأمريكي تيلون ، ولئن ظهر فيما بعد بعض علامات من سوء التفاهم والخلاف إلا أن ذلك كان عارضاً ، ولم يكن ليمحو ما كان قائماً فعلاً من علاقات صداقة بين الحكومتين.

أما عن النتائج التجارية للرحلة ، فإنها كانت أقل قيمة من النتائج السياسية التي حققتها ، ذلك أنه بعد أن وصل السيد سعيد إلى زنجبار بفترة قصيرة ، وقبل أن يرى التقرير الذي قدمه أحمد ، تحدث إلى الكابتن درنكر معبراً عن سروره من النتائج الإقتصادية التي حققتها الرحلة ، وكانت هناك أسباب تدعوه إلى ذلك ، فمعظم البضائع التي أرسلت على ظهر (السلطنة) قد تم بيعها بأسعار عالية أو معقولة في نيويورك ، وكانت هذه الأسعار في أغلب الأحوال أكثر بكثير مما يدفعه التجار الأمريكيون الذين يزورون زنجبار أو مسقط مثلها ، ورغم أن الأسعار في زنجبار كانت تتعرض للذبذبات



الشديدة إلا أنه بمقارنتها بمستويات الأسعار في ذلك الوقت كانت أسعار نيويورك أفضل منها أو مقاربة لها.

كان القنصل ووترز قد أناب عنه أثناء أجازته التي بدأت في يناير ١٨٤٠م رجلاً أمريكياً يدعى ر. ستار باركر الذي كان يعمل سابقاً في مؤسسة سكو فيل وبريتون ، وقد كتب ووترز في خطاب مفصل إلى باركر يوجه نظره إلى أن الصمغ المنظف يجب ألا يشتري بأكثر من ٣,٥٠ دولاراً للكيس الذي يبلغ وزنه ٣٥ رطلاً ، أما غير المنظف فلا ينبغي أن يزيد القيمة عن ٣,٢٥ دولاراً ، هذا بينما نجد أن الكيس المماثل من الصمغ قد بيع في نيويورك بثمانية دولارات للصمغ المنظف ، وخمس دولارات للصمغ غير المنظف . أما بالنسبة لجلود جزيرة.مبا فقد اشترها باركر بأربعة دولارات للفة المكونة من ٢٠ قطعة ، بينما كان يبيعها لقباطنة السفن الأمريكية بمبلغ ست دولارات للفة ، وقد أثبتت هذه السلعة نجاحاً كبيراً أيضاً في نيويورك ، إذ بيعت حمولة (السلطانة) من الجلود بسعر ٦,٢٥ دولاراً للفة .

وكانت السلعة الوحيدة التي لم تجد مثل هذا الرواج في نيويورك هي القرنفل فقد باعها أحمد بمبلغ ٣,٦ دولار للكيس بينما كان سعرها في زنجبار ٥١,٢ دولاراً لأجود الأنواع و ٤,٧٥ دولاراً للأنواع العادية ويبدو أن ووترز قد عمد إلى رفع أسعار القرنفل حتى يمتنع التجار عن الشراء بالأسعار العالية ، وتبقى كميات كبيرة في المخازن دون تسويق .

أما بالنسبة للسلع الأخرى فلم يعثر على قوائم أسعار لها ، وقد أفرغت جميع السلع التي جاءت بها (السلطانة) من أمريكا في ميناء زنجبار خلال أسبوع من وصولها ، وسلمت جميعها إلى تجار السوق المحلية الذين كانوا يعرفون باسم (البانيان) ويروي درنكر أن بعض هؤلاء المشترين قد تعرض لخسارة كبيرة بلغت في بعض الأحيان ٥٠ في المائة وبخاصة تلك التي أرغم



التجار على شرائها ، وكان ذلك نتيجة لحالة الكساد العامة التي كانت عليها السوق في ذلك الوقت .

وفي ضوء الظروف التي أحاطت بالمغامرة يمكن أن ننظر إليها نظرة تقويم خاصة ، فإن تكاليف الرحلة قد بلغت ٦١٧٩ دولاراً خلافاً للمواد الغذائية التي حملتها السفينة عند المغادرة من مسقط و زنجبار ، والتي لا تعرف تكاليفها بالضبط ، ويمثل هذا المبلغ ٢٤ في المائة من قيمة مبيعات البضائع التي أتت بها (السلطنة) من نيويورك .

ولئن كانت التفاصيل عن أرباح السيد سعيد من تجارته في المحيط الهندي غير معروفة إلا أنه من المؤكد أن ما أنجزته تلك المغامرة إلى أمريكا الشمالية من أرباح كانت أقل بكثير من نسبة الربح التي تتحقق في تجارة المحيط الهندي سواء من الناحية الفعلية أو من الناحية المطلقة ، وذلك إذا أسقطنا من حسابنا أن (السلطنة) ومن عليها من بحارة كانوا قوة معطلة طيلة فترة الرحلة التي قاربت العام الكامل .

وعلى ذلك فإن السيد سعيد ، وإن كان قد عبر بلسانه عن نجاح الرحلة ، إلا أنه لم يجد ما يشجعه على تكرارها بعد ذلك ، وقد أبلغ ووترز عن طريق أحمد عدم رضاه عن الضرائب العالية التي تم تحصيلها في نيويورك .

ولو أمعنا النظر في الأمر لوجدنا أن ذلك يعكس شعور عدم الرضا عن سياسة الحماية الجمركية التي كانت تفرضها الولايات المتحدة وإن كانت (السلطنة) لم تعان منها كثيراً إذ كانت الضرائب التي دفعتها بسيطة نسبياً . وكانت تطبيقاً للمادة الثامنة من المعاهدة بين الولايات المتحدة ومسقط التي عقدت عام ١٨٣٣م ، والتي تنص على أن تعامل سفن السيد سعيد في موانئ الولايات المتحدة معاملة الدول الأكثر تفضيلاً .

ولقد كانت التعريفة الجمركية في الولايات المتحدة عام ١٨٤٠م تسير على أساس قانون الضرائب على الواردات الصادر في عام ١٨٣٣م والذي جاء تعديلاً لللائحة سابقة كانت قد صدرت ١٨٣٢م ونص في اللائحة الجمركية لعام ١٨٣٣م على خفض الجمارك تدريجياً على جميع البضائع بحيث تصبح ٢٠ في المائة على الأكثر عام ١٨٤٢م وبناءً على ذلك بلغت الجمارك على السجاد عام ١٨٤٠م وهي السنة التي وصلت فيها (السلطنة) إلى نيويورك ٢٣,٥ في المائة من قيمته بصرف النظر عن نوعه.

أما بالنسبة للبن فقد نصت اللائحة عام ١٨٣١م على أن يسدد مبلغ سنت واحد عن كل رطل من البن الذي يرد من شرق رأس الرجاء الصالح وبذلك كانت الجمارك التي تم تحصيلها على كل من السجاد والبن الذي حملته (السلطنة) إلى نيويورك عالية نسبياً.

هذا ويوجد بعض الغموض فيما يتعلق بالمبالغ التي سددت كجمارك على البضائع التي حملتها السلطنة ، ذلك لأن سجل الضرائب الخاص بنيويورك للفترة التي كانت فيها الزيارة قد فقد ، وأن ما أمكن العثور عليه منها وجد مبغراً هنا وهناك ، ولا يمكن بذلك أن يعطي صورة كاملة ، ولكن على العموم أمكن من هذا الشتات تكوين مجموعة من البيانات المتفرقة ، ومن هذه البيانات أن السفينة سددت ما يعادل ٢٩٠,٧٠ دولاراً إلى توكيل السفن وهو رقم شامل لا يمكن أن يتضمن أي تفاصيل.

وفي الوقت نفسه لا توجد أية بيانات من هذا القبيل في كشوف حسابات أحمد ، كما أن مجموعة الأرقام الخاصة بمصاريف الميناء لا تدل على وجود أي نوع من هذه النفقات أو أي رقم يقاربه ، ولكن هناك رقم وحيد يمكن التكهن به وهو مبلغ ٢٨٦,٩٨ دولاراً يمثل ١٠ في المائة من ثمن السجاد. وإن صح هذا الرقم فمعنى ذلك أن السجاد قد قدر بمبلغ ٢٨٧٠ دولاراً.

وإذا كان الرقم الذي ظهر في كشف حساب أحمد كحصيلة للسجاد هو ١٤٤٨,٦١ دولاراً فمعنى ذلك أن السجاد قد أدى إلى خسارة كبيرة.

ولعل الخسارة التي قيل أنها لحقت بالسجاد تمثل حقيقة واقعة ولكن بتقويم نوع السجاد من النموذج المحفوظ منه حالياً في مجموعات المتحف القومي نجد أنه كان من النوع العادي ، ولم يكن من النوع الحريري الذي أهديت قطعة منه للرئيس ، وعلى ذلك فإن قيمته كما ذكرت في كشف الحساب تبدو معقولة إن لم يكن مبالغاً فيها ، ولعل هذا يرجع إلى احتمال حدوث خطأ متعمد في تسجيل أحمد لإيرادات السجاد في كشف حسابه.

وإذا ما أخذنا في الحسبان حصيلة بيع السجاد بعد خصم المبلغ الذي اعتبر ضريبة جمركية عليه بنسبة ٢٣,٥ في المائة فيكون ثمن السجاد الذي قدمت تقديراته للجمارك هو ١٢٠٠ دولاراً هذا ، وعلى غير المتوقع ، لا يوجد أي ذكر لتسديد ضرائب عن البن ، مما يؤكد أنه لا توجد بيانات حقيقية وصحيحة تمثل الواقع ، ولعل الزمن يظهر لنا البيانات الحقيقية التي قد تفسر مثل هذه التناقضات الظاهرة ، وكذلك باختفاء بعض البيانات الحتمية كالضريبة المقررة على البن.

ولقد جاء الوقت الذي أبدى السيد سعيد فيه رغبته في إرسال سفينة إلى مانايلا لإستيراد السكر ، وطلب إلى الكابتن درنكر أن يقود هذه السفينة ، غير أن درنكر اعتذر عن ذلك بحجة أنه جاء في مهمة لتدعيم العلاقات مع الولايات المتحدة وبخاصة مع نيويورك وذكر للسيد سعيد أنه سيغادر إلى وطنه على أول سفينة عائدة إلى الوطن ، وذلك إذا لم يقرر السيد سعيد إرسال سفينة أخرى إلى أمريكا.

وتنفيذاً لکلمته غادر زنجبار على ظهر السفينة بريندا في يناير عام ١٨٤١م، وبذلت جهود كبيرة للإبقاء على البحارة الأربعة الذين أتوا على

ظهر (السلطانة) ليعملوا في أسطول السيد سعيد غير أن هذه الجهود لم تأت إلا بنجاح محدود ، فقد وافق واحد منهم فقط على البقاء بينما أثر الثلاثة الآخرون العودة إلى وطنهم.

عاد القنصل ووترز إلى زنجبار ، وبقيت التجارة بين أمريكا وزنجبار في أيدي تجار ميناء سالم ، وكان هناك تلميح من جانب الزنجباريين عن إرسال سفينة أخرى إلى الولايات المتحدة مرتين على الأقل ، كان القصد منها هو استحثاث ووترز على شراء بعض البضائع الخاصة بالحاكم ، ومما يذكر في هذا الصدد أن السيد سعيد استشار القنصل ووترز في ديسمبر ١٨٤١م عن طريق عميله جيرام سيوجي في إرسال السفينة المسماة (الغواله) إلى الولايات المتحدة محملة بالصمغ ، وترك للقنصل بديلاً عن ذلك شراء كمية من الصمغ فاشترأها . وقد تكرّر ذلك في نوفمبر ١٨٤٢م - حيث كرر السلطان الفكرة بإرسال السفينة (غزاله) إلى نيويورك ، ووصلت الأخبار إلى مسامع ووترز عن طريق أحمد هذه المرة ، فاحتج ووترز بأن الموضوع غير مدروس بدقة وذكر أنه مشروع سطحي كما يبدو ، ثم وصل إليه بعد ذلك بأسابيع قليلة إقتراح ووترز بأن يشتري كمية الصمغ التي كان السلطان ينوي شحنها على السفينة (غزاله) وبذلك كانت رحلة (السلطانة) هي أول وآخر رحلة تقوم بها سفينة تحمل علم عُمان وزنجبار القرمزي اللون إلى سواحل أمريكا (في تلك الفترة).

أما عن الهدايا التي أرسلها الرئيس الأمريكي فاي يورين إلى السيد سعيد فقد قبلها السيد سعيد رغم أن المستر هون عمدة نيويورك السابق كان يسائل نفسه عما إذا كان السيد سعيد سيقبل الهدايا أم سيرفضها ، وقد جاء هذا التساؤل نتيجة لنظرة هون إلى ما عوملت به هدايا السيد سعيد في الولايات المتحدة.

ولقد حازت المرآيا والأسلحة والشمعدانات الإعجاب أما الزورق الفاخر الباهظ التكاليف فقد حاز على إعجاب أقل بكثير مما حازته الأسلحة والمرآيا.

ويرجع عدم الإعجاب الكبير بالزورق البخاري إلى أن البحارة لم يكونوا مدربين على تسيير مثل هذه القوارب البخارية من قبل ولذا تسببوا في انقلابه من أول مرة ، وتعرض راكبه من أقارب السيد سعيد للغرق ، وقد أدى ذلك إلى الظن بأن هناك عيب في الزورق نفسه مما جعل السيد سعيد يأمر بأن يوضع فوق السفينة الراسية المسماة (شاه غلام) حيث بقي سنين طويلة بليت فيه كل زخارفه واختفت كل الأغلفة الفضية من قوائمه وجوانبه وقواعد صواريه.

وأراد السيد سعيد في وقت من الأوقات إهدائه إلى القنصل ووترز ولكن ووترز رفض بشدة أن يقبله ، وكذلك فشلت محاولات أخرى لبيعه لأحد المواطنين ، ولكن أخيراً في مايو ١٨٤٢م نجح السيد سعيد في إستبداله من القنصل البريطاني هامرتون بقارب ذي ستة مجاديف لم يكن يساوي في ذلك الوقت أكثر من مائتي دولار.

أما بالنسبة لهدايا السيد سعيد التي أرسلها مع أحمد فقد اعتبرت هدايا لحكومة الولايات المتحدة ، ومعظمها مازال موجوداً حتى وقتنا الحاضر وكانت قد أودعت عام ١٨٤٣م في دار براءات الاختراع القديمة التابعة لوزارة الخزانة ، ثم نقلت ثانية في مارس عام ١٨٨٧م إلى متحف الولايات المتحدة القومي حيث أصبحت تكون جزءاً من أجمل مقتنيات المتحف ، إلا أن السيف اختفى كما أن زجاجات العطر قد تبخرت.

وقد حدث مرتين أن اختفت بعض هذه الهدايا مرة في عام ١٨٤٨م والثانية في الفترة من ١٨٨٧م إلى ١٨٩٢م حيث يبدو أنها سرقت ، وبقيت

السجادة الحريرة محفوظة في مجموعة انجليكا سنجليتون فان يورين ، حرم الرئيس ، وهي المجموعة التي تضم أيضاً أرديتها الثمينة ، وكتب على هذه السجادة خطأ أنها مهداه من الرئيس إلى زوجته.

استقر أحمد بن نَعْمَان في خدمة السيد سعيد ، وكانت رحلته إلى نيويورك سبباً في ترقيته إلى أعلى المراتب ، ورغم أنه كان في مسقط وزنجبار لا يخرج عن كونه كاتباً للسيد سعيد ، إلا أن ما لقيه من مجد وتبجيل في الولايات المتحدة جعله لا يدخر وسعاً في التحدث عن ذلك في كل مكان وكل وقت.

وبتغلغل النفوذ البريطاني في زنجبار ، أصبح أحمد في نظر القنصل البريطاني هامرتون رائداً فيما أسماه بالاتصال بالجانب الأمريكي .

وقد كتب هامرتون في فبراير ١٨٤٢م قائلاً: (أن نمط الاتصالات بين الإمامة والقنصل الأمريكي ووترز ، والجانب الأمريكي بصفة عامة قد تم من خلال أحد الكتبة في حكومة الإمام يدعى أحمد بن نَعْمَان ، وهو الذي ذهب على ظهر السفينة سلطنة إلى أمريكا ، وهو الذي يقود كل من يشيع عنا أننا شعب أقل من الشعب الأمريكي).

وكان هامرتون يعتقد أن الجانب الأمريكي كان يحاول أن يستحث السيد سعيد ليتخذ خطوات مضادة للموقف البريطاني ، بإخباره عن كل تحركات بريطانيا مثل موقفها من أفغانستان وغيره ، أما عن الصداقة بين أحمد والقنصل ووترز فقد أثمرت كثيراً ، ذلك أن ووترز كتب إلى خلفه في زنجبار بعد أن غادرها عام ١٨٤٤م يقول : (عليك بمقابلة الكابتن حسن بن إبراهيم وأحمد بن نَعْمَان وغيرهم من أصدقائنا القدامى كما فعلت أنا حينما كنت هناك).



وقد فعل القنصل الجديد ما نصح به ، وظل أحمد من الزوار الدائمين الذين يترددون على مؤسسة (بنجري) وكثيراً ما كان يسأل عن صحة صديقه القديم ووترز أثناء هذه الزيارات ، وكان يعرض فيها خدماته على هذا الشاب الجديد .

ولما توفي السيد سعيد احتفظ الحاكم الجديد السيد ماجد بأحمد كسكرتيره الخاص ثم ترك أحمد الخدمة عام ١٨٥٨م ، وفي أكتوبر عام ١٨٦٠م أي بعد ذلك بستين كتب ريجي يقول : إن أحمد أصبح ضعيف الصحة ، غير قادر على إعطاء المعلومات وتوفي إلى رحمة الله عام ١٨٦٩م ووضع على قبره حجر نقش عليه اسمه وتاريخ دفنه في المقبرة العامة بزنجبار .

وهناك في مكتب لجنة الفنون بمبنى بلدية نيويورك توجد لوحة أصلية معلقة على الجدار طولها ٤٢ بوصة وعرضها ٣٦ بوصة ، تشمل على منظر لأحمد رسمه الفنان موني كما توجد نسخة منها بريشة الرسام نفسه معلقة في متحف بيبودي في سالم بولاية ماساشوستس وهذه اللوحة غير مسجلة ضمن قوائم لوحات موني ، ويرى البعض أن هذه النسخة قد رسمت ليأخذها أحمد معه إلى زنجبار ، وكانت مسز وليام ماك مولين قد أهدتها للمتحف في سالم ، وكان زوج مسز وليام قد عمل سنين طويلة مديراً لأعمال مؤسسة بنجري في زنجبار وربما يكون قد أخذها من ورثة أحمد خلال تلك الفترة التي عمل فيها بزنجبار .

أما صورة السيد سعيد فإنها هي الصورة الوحيدة التي رسمت له وكان قد رسمها الفنان هنري بلوس لينش ، وهي اللوحة المعلقة حالياً في متحف بيبودي في سالم .

أما (السلطنة) فقد عادت لتحتل مكانها ضمن أسطول السيد سعيد ثم أرسلت في عام ١٨٤٢م إلى إنجلترا كسفينة حربية تحمل مبعوثاً خاصاً من السيد سعيد إلى الملكة فيكتوريا ، ومعه هدايا تضم بعض الخيول العربية المشهورة ، وقامت بهذه الرحلة أيضاً تحت قيادة قبطان أمريكي يسمى ويلسون كان صهراً لـووترز، وفي إنجلترا أصلحت في حوض البحرية البريطانية الكائن في وولويتش.

وعند عودتها إلى زنجبار كانت في أحسن حالاتها ، وظلت تعمل حتى وقعت لها حادثة في تاريخ غير معروف ولكنه في الأغلب بعد عام ١٨٥٥م، فقد جنحت وهي عائدة من الهند أمام جزيرة وارين على مرمى النظر من جزيرة ممبا ولم يمكن إنقاذها وغرقت...



(١٠)

خاتمة

استمرت العلاقات بين سلطنة عُمان وتوابعها وبين الولايات المتحدة على أحسن ما يرام منذ عهد السيد سعيد ومبعوثه أحمد بن نُعمان ، وقد كلف سعيد بن خلفان فيما بعد بالقيام بأعمال القنصلية الأمريكية في عام ١٨٤٣م ، إلا أن سلطان مسقط لم يعترف به ، وظل الوضع كذلك بدون قنصلية حتى أعيد فتح القنصلية الأمريكية في مسقط عام ١٨٨٠م ، وظلت كذلك حتى سنة ١٩١٥م .

وفي تلك الفترة كان القنصل الأمريكي المقيم في اليمن يقوم بزيارات للسلطان السيد سعيد بن تيمور الحفيد الثاني للسيد سعيد ، وذلك على الرغم من أنه كان غير معتمد لدى سلطنة عُمان وفي ديسمبر عام ١٨٥٨م عقدت معاهدة صداقة وإتفاقية إقتصادية جديدة مع إقامة علاقات قنصلية مع السلطنة ، وحتى ذلك التاريخ كانت المعاهدة المعمول بها هي التي وقعت عام ١٨٣٣م .

وفي عام ١٨٦١م انفصلت زنجبار عن مسقط وأصبحت كل منهما وحدة سياسية قائمة بذاتها ، وأصبحت زنجبار محمية بريطانية وأخذت تخطو خطواتها نحو الحكم الذاتي ، وفي عام ١٨٧٩م قبل سلطان زنجبار العمل بمعاهدة عام ١٨٣٣م كأساس للعلاقات بين الولايات المتحدة وزنجبار .

ثم أغلقت القنصلية الأمريكية التي فتحتها ووترز في زنجبار في عام ١٩١٥م ، وأخيراً في سبتمبر ١٩٦١م أعيد فتحها وحضر ممثل أمريكي إلى زنجبار مرة ثانية في عهد السلطان السيد عبدالله بن خليفة الذي كان كقريبه في مسقط حفيداً للسيد سعيد .



مضى أكثر من قرن وربع على رحلة أحمد إلى زنجبار ، وتغيرت أنماط الحكم والسلطة في العالم العربي خلال هذه الفترة الطويلة ، وانكمش ملك السيد سعيد الذي كان ممتداً في شرقي أفريقيا وبدأ الأمريكيون خلال تلك الفترة يقيمون علاقات صداقة وصلات متعددة مع الحكومات والشعوب العربية ، ولئن كانت الشخصية العربية لها عندنا نحن الأمريكيين تكريماً واحتراماً فإن أحمد بن نَعُمان ورفاقه قد كان لهم الفضل في وضع البصمات الأولى للتعرف على الطبيعة العربية الطيبة البسيطة ، على الأقل في وسط جزء من الرأي العام الأمريكي .

ولعل هذه الصفحات - كما نأمل - تكشف عن جزء من الماضي ستاراً أسدله الزمن على رحلة أحمد بن نَعُمان ، ولعلها تذكرنا بما قد نسيناه - مما يستحق الذكر - من تلك الرحلة إلى شواطئ أمريكا .





الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
السفينة والرحلة	٧
العلاقات العُمانية الأمريكية	١٥
فكرة الرحلة	٢٦
سلطنة في نيويورك	٣٤
حسابات الرحلة	٤٨
مسألة الهدايا	٥٦
الاستعداد للعودة	٦٤
في رحلة العودة	٧٠
تقويم الرحلة	٧٦
الخاتمة	٨٦







سُلْطَانَةُ فِي نِيُويُورُكْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





سُلْطَانَة فِي نِيُويُورْكَ